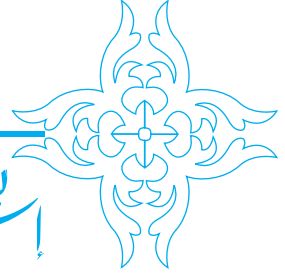


دعوة

لك
استجبنا



دعوة للقلوب الصادقة، والنفوس المؤمنة الطموحة ..
دعوة للارتقاء في منازل الاستجابة لله ورسوله ﷺ،
استجابة بعد استجابة ..
دعوة للحياة بطعمها الحقيقي، حياة الرضا والأنس
والاطمئنان والسعادة ..

إنها دعوة للاستجابة لأمر ربنا الودود الرحيم:
﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).
لبيك ربنا .. لك استجبنا ..

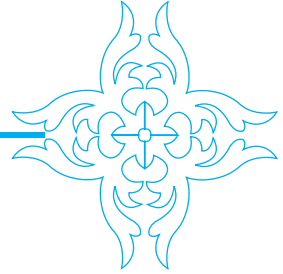
﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

١ - آل عمران: ١٢٣.

٢ - البقرة: ٢٨٥.



مقدمة



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
وسيدنا محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين .
إن الله خلق الخلق، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم
لغاية عظيمة، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ .
قال مجاهد : دون أن يُؤمر أو يُنهى ^(١).
فمن تمام رحمته أن دلنا إلى الطريق الموصل إليه،
فأمرنا ونهانا ودعانا للاستجابة والمشاركة في مرضاته .
وهذا الكتاب دعوة إلى تحقيق الاستجابة المطلقة
لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ ، لأننا عباد الله تعالى
خاضعون له، منقادون لأمره، ومأمورون بأن نقيم
له الدين كما شرع لنا في كتابه وسنة نبيه ﷺ ، بلا
تقصير ولا تعدٍ ولا ترددٍ ولا حرجٍ.

١- تفسير ابن كثير مجلد ٨ ص ٢٨٣.

والمطلوب منا جميعاً أن نحقق الاستجابة المطلقة
للّهِ تعالى بقلوبنا ومقاصدنا وأقوالنا وأفعالنا وفي
عباداتنا وأخلاقنا ومعاملاتنا وفي سرنا وعلانيتنا، كما
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)

تلك هي الاستجابة المطلقة التي يأمرنا الله جل
وعلا بها، ولا نعني بهذه الدعوة مطلق الاستجابة.
إذ إن كل مسلم مستجيب، ولكن تتفاوت تلك الاستجابة
بين الكمال والتقصير، وبين الالتزام والتفريط،
والناس في ذلك طبقات ومنازل لا يعلمها إلا الله :
فمنهم الذين استجابوا ظاهراً وباطناً في عباداتهم
لربهم ومعاملتهم للناس، فهؤلاء المستجيبون لله حقاً
الذين حققوا الاستجابة المطلقة.

ومنهم من استجاب ظاهراً ولم يستجب باطناً، وهم
المنافقون الذين جاء القرآن يصف استجاباتهم المزيفة
في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا
ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾^(٢)
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَتُمُونَ^(٣)

١- الأنعام: ١٦٢.

٢- المائدة: ٤١.

٣- آل عمران: ١٦٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١)

ومنهم المسلم المقصر في الواجبات والواقع في المحرمات، كمن يصلي ولكنه يتعامل بالربا، أو كمن يتصدق ولكنه يخون ويكذب، وكالمرأة التي تصوم وتصلى، ولكن تتبرج وتقصّر في سترها ونحو ذلك، فهؤلاء مستجيبون في جانب ومخالفون في جانب آخر، ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(٢) .

فاستجابتهم قاصرة ينالهم من وعد الله بحسب ما أتوا من الاستجابة، ويتوجه إليهم وعيد المقصرين والمخالفين بحسب ما لديهم من التقصير والمخالفة، وهؤلاء مدعون للاستجابة لله تعالى في الأمر بالتوبة والإنابة إليه والاستقامة على أمره، كما قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾^(٣) .

وقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤) .

١- الأنفال: ٢١.

٢- التوبة: ١٠٢.

٣- فصلت: ٦.

٤- النور: ٣١.

فما أعظم هذا الإنسان، وما أكرمه على الله تعالى، إن هو أخذ كتاب ربه ، واتبع منهجه، في هذه الحياة ، فأدرك غاية وجوده، وعمل وفق هذه الغاية في مقاصده وأقواله وأفعاله وجميع أحواله، عندئذ تتحقق له الحياة الحقيقية الطيبة الكريمة، فالذين يستجيبون لله ورسوله ﷺ ظاهراً وباطناً في سرهم وعلاانيتهم هم الأحياء، وإن ماتوا، هم الأعزة، وإن قل الأهل والعشيرة، وغيرهم هم الأموات وإن كانوا أحياء الأبدان، يسعون بين الناس ويجوبون الأسواق، ويأكلون الطعام، وحال أولئك كمن قال الله عز وجل عنهم: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾^(١) وفي هذه الرسالة حديث عن الاستجابة لله تعالى ورسوله ﷺ ، وثمار ذلك وعوائقه وثمة وقفات مع نماذج فهمت معنى الاستجابة وامتلثتها في واقع حياتها، ثم اختتمت بالطرق التي تبعث في النفس دواعي الاستجابة.

ويبقى لي كلمة امتنان وشكر للأخوة والأخوات الذين شاركوني في إعداد هذا الكتاب، وقد ضربوا

١- النحل: ٢١.

أنموذجاً كريماً من نماذج الاستجابة لله تعالى في أمره جل وعز: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وهم الأخوة في لجنة البحث العلمي في مؤسسة آسية برئاسة الأستاذ الفاضل: جابر الصائغ رئيس تحرير موقع آسية الإلكتروني، والأخوات الفاضلات: الدكتورة هياء الجريبة، والأستاذات مضوي السيف، منيرة المفرج، فوزية الشدي، ماجدة الحميد، غادة الزامل، ثريا السيف، والابنتان الموفقتان رنا يحيى وروان الشايع، أسأل الله المولى جل وعلى أن يحشرنا جميعاً في زمرة المستجيبين السابقين، والله المسؤول أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه، وأن يوفق مجموع الأمة لسلوك طريق الاستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

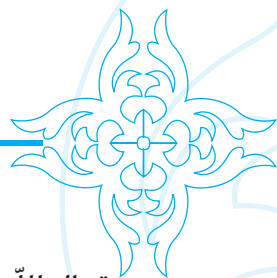
د. أسماء بنت راشد الرويشد
المشرفة العامة على مؤسسة آسية
للتدريب والاستشارات
١٥/٨/١٤٣٢ هـ
asma@asyeh.com



أهمية الاستجابة لله ولرسوله ﷺ



نداء رباني



قال الله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ^(١) إنها دعوة الله تعالى يوجهها لعباده المؤمنين، ويخاطبهم بصفة الإيمان، ويذكرهم بمقتضى ما آمنوا به؛ ليكون ذلك حاملاً لهم على المبادرة إلى إجابة الدعوة بعناية وقوة وعزيمة كما في قوله تعالى : ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ^(٢).

هذا النداء الذي يوجهه الله تعالى إلى المؤمنين، دعوة إلى الحياة بكل صورها ومعانيها ، ولكنها ليست أيّ حياة، إنما هي الحياة الكاملة التي يتميز بها المسلم عن سائر البشر الذين تحركهم دوافع الشهوات، وتتحكم فيهم الأهواء، فحسب الواحد منهم مالٌ يرفع

١- الأنفال: ٢٤.

٢- البقرة: ٦٣.

حسابه، وطعامٌ يملأ بطنه، وثياب فاخرة تكسو جسده، وسيارة فارهة يجذب أنظار الناس إليها، ومنزل فخم يباهي به جلساءه فهو لا يسعى لأكثر من ذلك.

وعلى قدر الاستجابة يكون كمال الحياة، فهي مراتب، كلما زاد العبد في الاستجابة لله تعالى وطاعة أوامره، كلما زاده الله كملاً في حياته، وهداية وتوفيقاً، فليُنظر الإنسان إلى مدى استجابته لله ورسوله ﷺ، في يومه وليلته، وعلى قدر ذلك تكمل حياته ويطيب عيشه، لذلك شبه الله تعالى المستجيب لنداء الله ورسوله ﷺ بالحي، والذي لا يستجيب بالميت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾^(١).

بعض الناس ولأسباب مختلفة (ربما الجهل بالشرع أو وسوسة الشيطان، أو سماع كلام أعداء الدين) يتوهم أنه عندما يتوب ويستقيم ويستجيب لله تعالى سيحرم طعم الحياة ولذتها، وهذا زيف وتشويه، والواقع أن المستجيب يعيش كما يعيش غيره، يأكل ويشرب وينام ويضحك ويفرح ويبيع ويشترى، ولكنه

١- الأنعام: ٣٦.

تقي يخشى ربه بالغيب، لا يخون ولا يظلم ولا يكذب ولا يسرق ولا يزني، محافظ على صلاته، مؤدٍ لركاته، قائمٌ بحق من له حقٌ عليه؛ لأنه يحيا حياة القلب والعقل معاً بالعقيدة التي تعمر قلبه فتملأ كيانه نوراً وهداية، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(١) إنه يعيش بحياة الروح والجسد معاً، دون انفصام بينهما، ولا صراع، فما كان تعذيب الجسد في شريعة الله سبيلاً لرقى الروح وتزكيتها، وما كانت العناية بالروح عاملاً يدفع المؤمن إلى ترك وتحريم ما أحل الله للإنسان، ولا حرمانه من حق الحياة الطيبة والزينة التي أخرجها الله لعباده: ﴿قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٣)

١- الأنعام: ١٢٢.

٢- الأعراف: ٣٢.

٣- القصص: ٧٧.

وهذا ما علمه النبي ﷺ لأصحابه، فكان درساً تعليمياً لا ينسى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

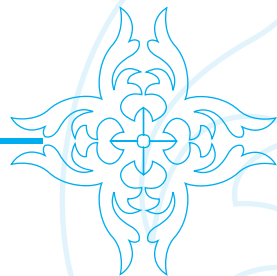
١- رواه البخاري برقم ٤٦٧٥ ومسلم برقم ١٤٠١ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



تعريف الاستجابة



تعريف الاستجابة



الاستجابة لغة:

الإجابة مصدر الفعل: أجاب، والاسم: الجابة، والإجابة رجوع الكلام، نقول: أجابه عن سؤاله، ومنه: استجاب الله دعاءه^(١).

وقد ثبت لله صفة الاستجابة ومنها اشتق اسم المجيب^(٢).

الاستجابة اصطلاحاً:

إن المتدبر لكتاب الله تعالى يجد دعوة ظاهرة للاستجابة في مواضع عدة من آيات الله، تارة بالأمر بها، وتارة ببيان حقيقتها، وتارة ببيان مآل أهلها الذين

١- لسان العرب لابن منظور: ٢٨٣/١، مختار الصحاح للرازي: ١١٩/١، والمعجم الوسيط: ١٤٤/١ نفس المادة.

٢- سلسلة الأسماء والصفات لمحمد الحسن الددو شريط، رقم (٦)، وانظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب للرضواني ١٣/٢٧ الاسم (٧٨)، وانظر: شرح أسماء الله الحسنى لسعيد القحطاني ٦٢/١.

أقاموها حق القيام، وتارة ببيان عقوبة المعرضين عنها.
وقد ورد للاستجابة تعريفات عدة بعبارات متقاربة،
وإليك أبرزها:

قال مجاهد رحمة الله

«الاستجابة الطاعة»^(١).

وقال جمهور المفسرين:

«المعنى: استجبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن من
أوامر ونواه. ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية»^(٢).
وقيل:

هي الإجابة إلى ما دعاهم الله إليه من التوحيد
والعدل والنبوة وبعث الرسل عليهم، والتزام الشرائع
الواردة على لسان رسوله ﷺ^(٣).

وقيل: المعنى:

«أجيبوه إلى ما دعاكم من الإيمان به

والطاعة»^(٤).

١ - تفسير الطبري ٤٨٤/٣

٢ - فتح القدير للشوكاني ٣٤٢/٢ ، البحر المحيط لمحمد بن حيان ٣٠٢/٥

٣ - مفاتيح الغيب للرازي ٣١/١٩.

٤ - تفسير الطبري ٤٨٤/٣.

وقيل الاستجابة:

«الإجابة إلى مادعا الله من التوحيد والعبادة»^(١).

وقال السعدي رحمة الله :

“الاستجابة لله وللرسول ﷺ أي الانقياد
لما أمرا به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه،
والاجتناب لما نُهينا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه”^(٢).
والإجابة تكون من الله، وتكون من العبد، فالإجابة
من العبد لله الطاعة، وإجابة الله لعبده إعطاؤه
مطلوبه، ويزيده من فضله على ثوابه، لأن إجابة كل
شي وفق ما يليق به^(٣).

وبهذا يتضح أن الاستجابة لله وللرسول ﷺ قد
تأتي بمعنى الإيمان والتقوى والانقياد والاستسلام
والموافقة لأمر الله تعالى والمسارة لمرضاته.
إذ هي ألفاظ مترابطة يتضمن بعضها البعض الآخر
ويقتضيه^(٤).

١- تفسير الجلالين ص: ٦٤٤.

٢- تفسير السعدي: ص ٢٩٥.

٣- الكشف للزمخشري ٢٢٣/٤، ومفاتيح الغيب للرازي ٢٦٦/٥.

٤- مفاتيح الغيب للرازي ٢٦٦/٥ نظم الدرر للبقاعي ٧٦/٣، تفسير

قال البقاعي رحمة الله :

أوجب استجابته سبحانه في كل مادعا إليه، وكانت الاستجابة بالإيمان أول المراتب وأولها ^(١).

وقال السعدي رحمة الله :

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول ﷺ ^(٢).

وينبغي أن نعلم أن أصل الاستجابة تكون بالقلب. فلا ينفع استجابة البدن دون استجابة القلب، فلو عمل المسلم ما عمل من أوامر الشرع دون استجابة قلبه لم ينفعه ذلك العمل .

قال ابن القيم رحمة الله :

"الاستجابة أصلها بالقلب، فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب؛ فإن الله سبحانه بين العبد وبين قلبه، فيعلم هل استجاب له قلبه، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه" ^(٣).

السعدي: ص ٢٩٥، أخلاق القرآن للشرباصي ١٥٩/٢ .

١ - نظم الدرر للبقاعي ٣ / ٧٦ .

٢ - تفسير السعدي، ص ٢٩٥ .

٣ - تفسير القرآن الكريم لابن القيم ص ٣٠١ .

الاستجابة فيها معنى الإجابة من ناحية الإجابة والقبول، يقال دعاني فاستجبته واستجبت له، لكن الاستجابة فيها معنى الإجابة بعناية واستعداد .

قال ابن عاشور **رحمة الله** في قوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾

«والسين والتاء في ﴿اسْتَجَابُوا﴾ للمبالغة في الإجابة، أي هي إجابة لا يخالطها كراهية ولا تردد، ولا م (لربهم) للتقوية، فالظاهر أنه أريد منه استجابة خاصة ، وهي إجابة المبادرة مثل أبي بكر وخديجة وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص ونقباء الأنصار أصحاب ليلة العقبة رضي الله عنهم " (١).

فكلمة ﴿اسْتَجَابُوا﴾ أصلها أجابوا، فزيد فيها السين والتاء للمبالغة في الاستجابة؛ لكي تتضمن معاني القبول والانقياد والمسارعة والمبادرة .

فالاستجابة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ واجبة على كل مكلف، وعلى الفور بلا تردد، وبقدر الاستطاعة، بامثال الأوامر الواجب فعلها وترك الأمور المنهي عن فعلها .

١- التحرير والتنوير ٢٥ / ١٧٠ .

فليس للعبد خيارٌ هل يستجيب أو لا يستجيب، فإما استجابة وإما إعراض .

ولن يكون مؤمناً ذاك الذي يُعرض عن دعوة الله، ولا يستجيب لها، أو يجعلها دبر أذنيه .

فإن الاستجابة لله وللرسول ﷺ هي المحاكَةُ الحقيقي والمظهر العملي للإيمان ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(١).

فالاستجابة لله يجب أن تكون في كل الأحوال، وفي جميع الظروف على الدوام بقدر الاستطاعة؛ لعموم

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ^(٢).

وقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ^(٣).

لأن الأصل في أمور الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى، وما فيه أداء لحقوق الناس، هو العجلة إليها.

كما قال ﷺ: (التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ) ^(٤).

١- النور: ٥١.

٢- آل عمران: ١٣٣.

٣- الحديد: ٢١.

٤- رواه ابوداود برقم ٤٨١٢ والحاكم برقم ٢١٣ في كتاب الايمان ١٣٢/١ والبيهقي في السنن الكبرى برقم ٢١٣٢٤ كلهم عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : ٣٠٠٩.

وقد جعل الله تعالى رضاه في المسارعة بالاستجابة لأمره.

كما جاء في قوله تعالى عن موسى ﷺ :

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(١)

وذلك أن موسى ﷺ رأى على جهة الاجتهاد أن يتقدم وحده مبادراً لأمر الله طلباً لرضائه، وحرصاً على القرب منه، وشوقاً إلى مناجاته^(٢).

ومن ذلك المبادرة بالتوبة استجابة لأمر الله تعالى:
﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣). فالتوبة واجبة على الفور.

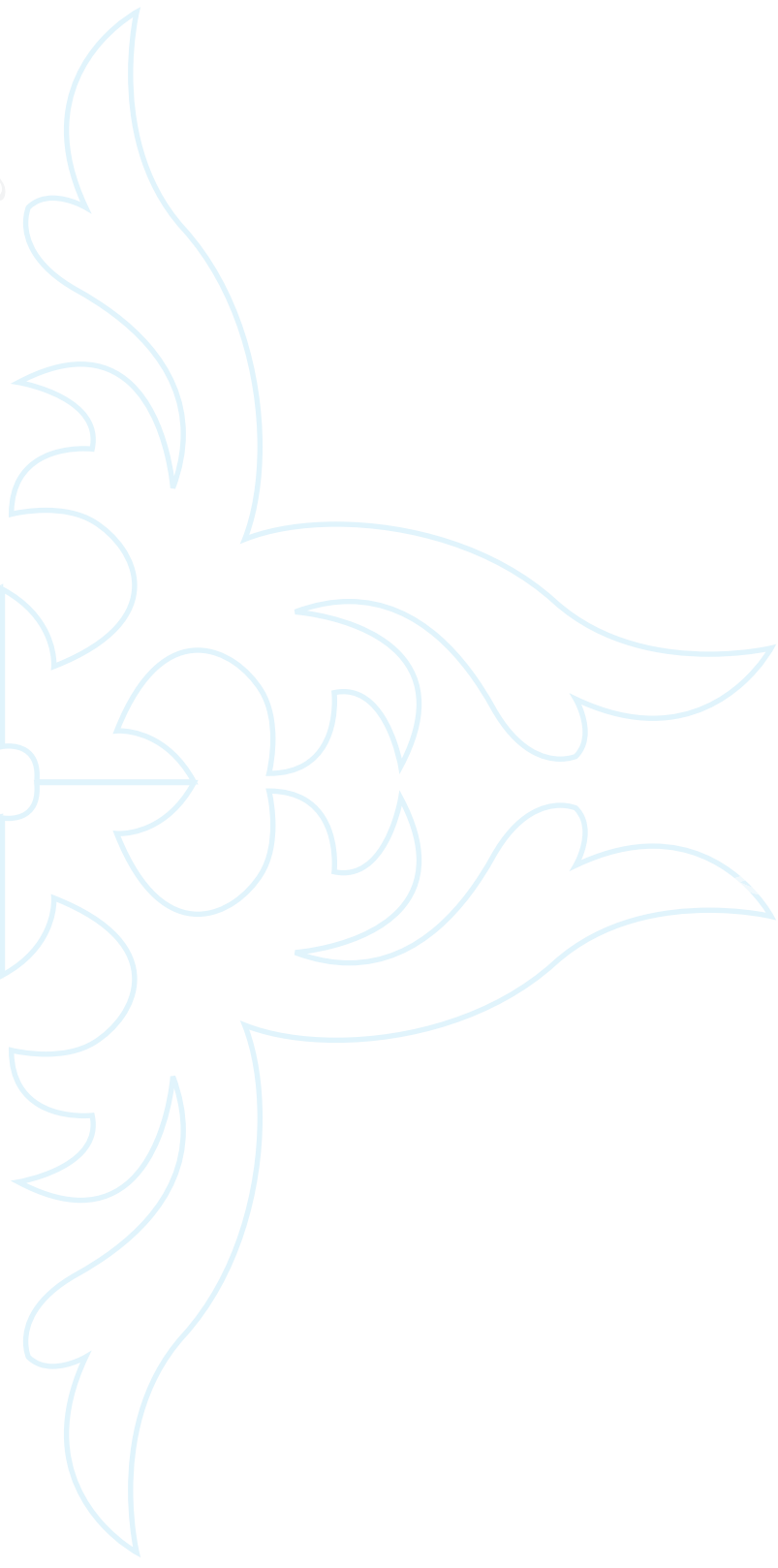
قال ابن القيم رحمه الله : "إن الله يحب المبادرة أو المسارعة إلى خدمته والتنافس فيها فإن ذلك أبلغ في العبودية، والملوك تحب المسارعة والمنافسة في طاعتها وخدمتها ... وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسابق بعضهم بعضاً بالقرب، ولا يؤثرُ الرجل منهم غيره"^(٤).

١- طه: ٨٤.

٢- تفسير الثعلبي ٣/ ٣٦.

٣- النور: ٣١.

٤- الروح ص ١٣٠.



مرادفات للاستجابة

هناك «ألفاظ» ترادف في معناها مفهوم «الاستجابة» مع اختلاف يسير في التركيز على دلالات أخرى، ومنها:

■ الاستقامة :

هي سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدين القيم من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها،
الظاهرة والباطنة^(١)

فلا يثبت للعبد وصف الاستقامة ما لم يكن مستجيباً لله تعالى في ظاهره وباطنه وسره وعلايته وفي تعبه وتخلقه .

■ التقوى :

قال الإمام يحيى بن شرف الدين النووي:

«التقوى : كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات»^(٢)

١- جامع العلوم والحكم ، شرح الحديث الحادي والعشرون ، ص: ٢٣٣

٢- شرح ابن عثيمين للأربعين النووية، ص: ٤٨

■ المسارعة والمبادرة والمسابقة :

المسارعة تكون بإدراك الشيء قبل فواته، أو بدفعه قبل وقوعه ^(١).

■ الاستسلام :

أصل الاستسلام هو الإسلام الظاهر، فالإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له ظاهرا وباطنا. ^(٢)

١- تحفة الأحوني ٦/ ٤٣٨ ، ٥٩٢.

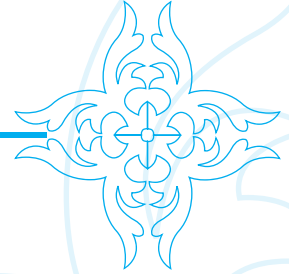
٢- مجموعة فتاوى ابن تيمية ، المجلد السابع



لماذا الحديث عن الاستجابة ؟



لماذا الحديث عن الاستجابة



الحديث عن الاستجابة ضرورة فكل ما حولنا من الحقائق والأحداث يلجئنا إلى الحديث عن الاستجابة - قضايا وأزمات ظواهر ومشكلات - ولا نجد علاجاً لها إلا ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾^(١).

إذا نحن بحاجة إلى هذه الدعوة «الدعوة إلى الاستجابة» كيما نتدارك الوقت، ونستزيد من الخير لنفوز وننجو.

ندعو للاستجابة السريعة بعزم وبلا تردد، ونؤكد على ذلك عبر النقاط التالية التي تبرز سبب الحديث عن الاستجابة:

١- إن كنت مؤمناً فاستجب :

إن المؤمن المقر بربوبية الله تعالى، والذي أحصى أسماء ربه فعلمها ووعاها بقلبه يعلم أن له ربا خالقا

١- الشورى: ٤٧.

مالكاً رازقاً مدبراً، يفعل به ما يشاء ويحكم فيه بما يريد، كما في دعاء الهم والكرب:

«ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك»^(١) وهذا اليقين يستلزم من العبد أن يكون مخلصاً لربه منقاداً لطاعته في سره وعلايته، وفيما يحب ويكره وفي الرغبة والرغبة، وكلما استغرق العبد في معاني أسماء الله وصفاته، وانغمس قلبه في لبتها، فإنه سيجري في مرضاة ربه جريان مياه الأنهار المنصبة من علو، كيف لا وهو حيثما سعى ودرج فهو على أرضه وفي ملكه .. وأينما توجه وتقلب فهو تحت سمائه وقهره .. وما من طعام يطعمه، ولا شراب يشربه، ولا كساء يلبسه، أو مأوى يسكنه، إلا وهو يعلم أنه من رزق الله ونعمته .

فالحديث عن الاستجابة هو حديث عن الإيمان والتقوى، حديث عن الاستسلام والانقياد لمن لا نملك إلا أن نطيعه بلا مناقشة، ولا تردد، ولا نقدم قولاً على قوله ولا رأياً على حكمه ، وهنا مثال:

١ - رواه أحمد برقم (٣٧١٢)، ص (٢٤٧)، وابن حبان برقم (٩٧٢).

إذا كان هناك إنسان مريض، واجتهد في البحث عن طبيب يجمع بين العلم والخبرة والأمانة، سأل وسأل وبحث وتحقق إلى أن استقرّ على طبيب يجمع بين تلك الصفات، فذهب إليه فوصف له علاجاً .

هل سيناقش المريض الطبيب في تلك الوصفة؟

الجواب: لا؛ لأن عقل هذا المريض قاده لهذا الطبيب واهتدى إليه بعد أن بحث وسأل ودله الناس عليه .

فأنت أيها الإنسان الكون كله هداك إلى الله ، أفعال الله هدتك إليه، خلق الله ذلك عليه، فإذا وصلت إليه وقرأت كتابه فإنك لا يليق بك أن تناقش أو امره فلا تسمح لنفسك أن تردد أو تراجع ، وكن كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ^(١).

٢ - هلم إلى الاستجابة وبادر :

تؤكد الدعوة إلى الاستجابة لله ولرسوله ﷺ في زمن تراخت فيه العزائم، وانحدرت فيه الهمم، وثاقل المتأقلون عن فعل الطاعات، وظهرت مظاهر العصيان

١ - الأحزاب: ٣٦.

العلمي والمستتر، وغلب على الناس حب الشهوات العاجلة، وآثروها على ما أعد الله لهم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ^(١).

وقال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ^(٢).

فإن أوان التنادي بالرجوع إلى الله تعالى، والاستجابة لأمره، والتداعي على طريق الاستقامة، خلاصاً للنفس، ونصحاء وبلاغاً للناس، وإعذاراً أمام رب العالمين: ﴿مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ^(٣).

٣- الاستجابة هي طريق السعادة :

كل الأنظمة الوضعية لم تحقق وعودها بإسعاد الإنسان، إذ لا يمكن أن يسعد الإنسان إلا بمعرفة ربه والقيام بدينه، والعالم البشري اليوم يئن من ظواهر اجتماعية متردية، ومشكلات نفسية متنوعة، بسبب بعده عن منهج الله، ومخالفته أمره، وأصبحنا في أمس الحاجة للحديث عن الاستجابة والتداعي إليها؛ لأننا

١- الأعلى: ١٦.

٢- القيامة: ٢٠.

٣- الأعراف: ١٦٤.

محتاجون إلى السعادة والاستقرار والأمن والود والسكينة
مع أنفسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا القريب والبعيد.
قال الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾^(١).

إنها الحياة الطيبة التي دعانا إليها الله عز وجل في
ظل الاستجابة لله ورسوله ﷺ حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)
إذ أن الاستجابة لله ورسوله هي استجابة لدواعي الحياة
بكل معاني الحياة الكاملة، حياة تلبي حاجات الإنسان
العليا التي ترتقي به، وتسمو وتؤكد إنسانيته، وتفضي
به إلى حياة دائمة في جنة عرضها السماوات والأرض.

١- النحل: ٩٧.

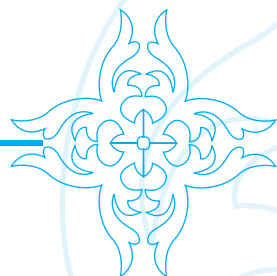
٢- الأنفال: ٢٤.



ثمرات الاستجابة



ثمرات الاستجابة



العبد المستجيب لربه في خيرات وبركات ممتدة في الدنيا والآخرة ما دام على طاعته منيبا إليه مستجيبا لأمره، إنه جزاء الإحسان بالإحسان، والاستجابة بالإجابة والمسارعة بالمغفرة والجنة.

إليك أخي القارئ هذه الثمرات فاجتنيها واستكثر:

١- الحياة الطيبة :

من أعظم الثمرات التي يجنيها المستجيب لله ورسوله ﷺ أن يحيا الحياة الطيبة، وهذا معنى ظاهر في كثير من الآيات، ومنها ما ذكره الباري عز وجل في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

١ - الأنفال: ٢٤.

قال الإمام ابن القيم رحمة الله معلقاً على هذه الآية:
"إن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله
ورسوله ﷺ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا
حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين
أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من
استجاب لله والرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم
الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان.
ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة
الرسول ﷺ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته
جزء منه فاتته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب
ما استجاب للرسول ﷺ" (١).

ثم يضرب ابن القيم مثلاً يصور فيه أثر القرآن
والاستجابة لأوامر القرآن ونواهيهِ في حياة القلب
فيقول رحمه الله :

"كما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك
الذي هو رسول الله من روحه، فيصير حياً بذلك النفخ،
وكان قبل ذلك من جملة الأموات، فكذا لا حياة لروحه

١ - الفوائد لابن القيم ص ٨٨.

وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول عليه السلام من الروح
الذي ألقى إليه^(١).

ثم يوضح رحمه الله توضيحاً ثانياً في وصف حال
المستجيبين في الدارين فيقول:

"فإن المؤمنين حياتهم في الدنيا أطيّب الحياة ولهم
في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾^(٢)، فهذا في الدنيا.

ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، فهذا في البرزخ.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَنِّعْكُمْ مِّنْعًا
حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(٥)، فهذا في الآخرة أيضاً.

١- الفوائد لابن القيم ص ٩٠

٢- النحل: ٩٧.

٣- النحل: ٩٧.

٤- النحل: ٤١.

٥- هود: ٣.

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١).

فهذه أربعة مواضع، ذكرافيا أنها يجزي المحسن
بإحسانه جزاءين:

- جزاء في الدنيا .
- وجزاء في الآخرة .

" فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء
معجل ولا بد، ولولم يكن إلا ما يجازى به المحسن،
من انشراح صدره في انفساح قلبه، وسروره ولذاته
بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره، ونعيم روحه
بمحبتة لكفى" ^(٢).

وعلى سبيل المثال ما يجده واصل الرحم من ثمرة
معجلة في الدنيا قبل الآخرة، فمن وصل رحمه، وبادر
بأنواع الصلة من الزيارة والإعانة والدعاء ونحو ذلك
وقدم أنواع المعروف والإحسان لأقاربه احتساباً وطلباً
لمرضاة الله عز وجل فإنه موعود بالجزاء العاجل في
أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره.

١- الزمر: ١٠.

٢- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص ٦٧ .

وإذا خالف أمر ربه، ولم يصل ما أمر الله به أن يوصل، وأبدلها بالقطيعة، فإنه يخشى عليه من اللعنة، وأن تصيبه من العقوبات القلبية ما يجعله مطموس البصيرة، فلا ينتفع بموعظة، ولا يعتبر بحدث، عقوبة معجلة له في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (١).

فلا بد أن يتحول هذا الأمر إلى قناعات راسخة في أن الله يجازي المطيعين والمبشرين إلى مرضاته بالحياة الطيبة الرضية في الدنيا، ولوعرض لهم الخوف والفقر والمرض وغيرها من المنغصات إلا أن الله ينزل عليهم من سكينة القلب وطمأنينة النفس ما يبدهم همومهم وآلامهم، ويجعل لهم مخرجاً من حيث لا يحتسبون بسبب استجاباتهم.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (١).

١- محمد: ٢٢-٢٤.

٢- النحل: ٩٧.

فهذا وعد من كريم صادق بالحياة الطيبة لمن حقق الإيمان والعمل الصالح والله لا يخلف الميعاد.

ويقول الله تعالى : ﴿وَالْوِاسِقُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١) أي لواعثدلو وساروا على الطريقة المثلى لأسقيناهم الغيث الكثير، وهذا السقي كناية عن الإنعام عليهم.

٢ . الفوز بالجنة والنجاة من النار :

وعد البارئ جل جلاله المبادرين لطاعته المسارعين لمرضاته بأعظم العطايا وأجلها، بأن يدخلهم جنات النعيم، قال جل جلاله : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ السُّوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ﴾^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمة الله في تفسيره: "لما بين تعالى الحق من الباطل، ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه، فقال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾، أي: انقادت

١ - الجن: ١٦.

٢ - الرعد: ١٨.

قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريد منهم، فلهم ﴿الْحُسْنَى﴾^(١)، أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن، فلهم من الصفات أجلاها، ومن المناقب أفضلها، ومن الثواب العاجل والآجل، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٢).

وقد وصف الله عز وجل شيئاً من ذلك النعيم في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ءَامِنِينَ ۖ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۖ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۖ نَبِيُّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۖ﴾^(٣)

والقرآن مليء بأنواع العطايا والهبات الربانية التي يمن الله بها على عباده الصالحين في الجنة من ذكر قصور الجنة وغرفها وأنهارها وأشجارها وألوان من الطعام والشراب واللباس والحلي وغيرها من ألوان النعيم.

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٤١٦

٢- الحجر: ٤٥-٥٠.

والنعيم هنا يشمل نعيم البدن ونعيم القلب، أما نعيم البدن فإن الله عز وجل قال في الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ ^(١).
 قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٢).

وأما نعيم القلب فإنهم يقال لهم وقد شاهدوا الموت قد ذبح: يا أهل الجنة خلود ولا موت ^(٣)، ويقال لهم: ادخلوها بسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ ^(٤)، ويقال لهم: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وأن تصحوا فلا تمرضوا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ^(٥)، وكل هذا مما يدخل السرور على القلب فيحصل لهم بذلك نعيم القلب، ونعيم البدن، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ ^(٦).

١- الزخرف: ٧١.

٢- السجدة: ١٧.

٣- رواه البخاري برقم ٤٣٦١ ومسلم برقم ٢٨٤٩ كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٤- الحجر: ٤٦.

٥- رواه مسلم برقم ٢٨٣٦ عن أبي عليه السلام.

٦- السجدة ١٧.

يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْنَا بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١)،
 جعلنا الله منهم بمنه وفضله.
 هكذا .. ينال المستجيب الجزاء العظيم والنعيم
 المقيم في الآخرة .

٣- إجابة الدعاء :

إن من استجاب لله استجاب الله له، قال تعالى :
 ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ
 مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(٢)، ومن وفى لله عهده وفّى
 الله له قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
 فَأَرْهَبُونَ﴾^(٣)، ومن ذكر الله ذكره الله، قال تعالى :
 ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٤)، فمن استجاب لله أجاب الله
 دعاءه، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾^(٥)،
 وكانت الآية جواب سؤال، حيث سأل النبي ﷺ بعض
 أصحابه فقالوا : يا رسول الله أقریب ربنا فنناجیه؟

١- الرعد: ٢٣.

٢- الرعد: ٢٤.

٣- آل عمران: ١٩٥.

٤- البقرة: ٤٠.

٥- البقرة: ١٥٢.

أم بعيد فنناديه؟

فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (١)

لأنه تعالى الرقيب الشهيد المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب من داعيه بالإجاب، ولهذا قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢) (٣).

فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء؛ كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب لهذه الاستجابة؛ فهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ .

وأخبر تعالى عن الأنبياء عليهم السلام بقوله :

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ

١- البقرة: ١٨٦.

٢- البقرة: ١٨٦.

٣- تفسير السعدي ص ٨٧.

فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿١﴾

ومعنى المسارعة هنا - كما ذكر المفسرون - أنهم كانوا يبادرون إلى الخيرات طاعة لله، ويعملون ما يقربهم إلى الله، والمسارعة في طاعة الله من أكبر ما يمدح به المرء؛ لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة، ولذلك أكرم الله عز وجل هؤلاء المسارعين في الخيرات، فاستجاب لهم، وحقق ما أرادوه ورغبوا فيه، ووهب لذكرياً عليه السلام الولد بعد طول سنين، وأصلح له أمر زوجته.

وهذا فضل عميم من صاحب الفضل العظيم، يذكر كل مؤمن بأنه إذا أخلص في المسارعة إلى الخير لوجه الله أوسع له العطاء والجزاء.

٤. الاستجابة طريق العلم ومعرفة الحق وكمال العقل :

لعموم قوله تعالى : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١)، فيحصل لهم الرشd الذي

١- الأنبياء: ٨٩-٩٠.

٢- البقرة: ١٨٦.

هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم
الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة؛ ولأن الإيمان
باللّه والاستجابة لأمره سبب في حصول العلم، كما
قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَشْقُوا اللَّهَ
يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾^{(١) (٢)}.

فمن اتقى الله عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه،
وفق لمعرفة الحق من الباطل، والهدى من الضلال،
فكان ذلك سبب نصرته ونجاته ومخرجه من أمور
الدنيا، وسعادته يوم القيامة، ومن أراد الله أن يوفقه
إلى إصابة الحق وييسر له سبل العلم، فليتق ربّه في
سره وعلا نيته و ليكن مخلصاً متّبِعاً ليفتح له فتوح
الفهم والعلم.

٥ . الكفاية وإصلاح الشأن :

ههنا نور مثلاً، ونردفه بآخر لبيان فضل الاستجابة
في جلبها الكفاية وإصلاح الشأن:

١- الأنفال: ٢٩.

٢- تفسير السعدي ص ٨٧.

المثال الأول :

ولما أنزلت على النبي ﷺ : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - كما أخبر بذلك أبو هريرة رضي الله عنه فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ ، فَقَالُوا : أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ ، كُلَّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نَطِيقُ ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نَطِيقُهَا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلُكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» .

قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ دَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا : ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

١ - البقرة: ٢٨٤ .

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، نسخها الله تعالى فَأَنْزَلَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ﴿٢﴾، قَالَ: نعم.
﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ﴿٣﴾، قَالَ: نعم.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ﴿٤﴾، قَالَ: نعم.
﴿وَاغْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥﴾، قَالَ: نعم.

وفي رواية: قال: "قد فعلت" ﴿١﴾.

ولذا قال النبي ﷺ مبيناً فضل الله عز وجل ومنته
على هؤلاء القوم بعدما استجابوا لكلام رسولهم ﷺ

١- البقرة: ٢٨٥.

٢- البقرة: ٢٨٦.

٣- البقرة: ٢٨٦.

٤- البقرة: ٢٨٦.

٥- البقرة: ٢٨٦.

٦- رواه مسلم، برقم ١٢٥ عن أبي هريرة Z.

: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأَمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ»^(١).

فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم اعتقدوا في بداية الأمر أنهم يؤخذون بما لا قدرة لهم على دفعه من الخواطر التي لا تكتسب، فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يشكون ضعفهم وعجزهم -وليس اعتراضاً على كلام ربهم عز وجل بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا المسلك يشبه مسلك اليهود والنصارى، حيث قالوا: سمعنا وعصينا، فالمؤمن ينبغي عليه أن يقول لأوامر ربه وأحكامه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

فلما فعلوا ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، وألقى الله الإيمان في قلوبهم، وذلت هذه القلوب بالاستسلام والانقياد، وكذا ألسنتهم، كفاهم الله تعالى، ورفع الحرج عنهم، ونسخ هذا التكليف وأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣).

١- رواه مسلم، برقم ١٢٧ وللبخاري لفظ مقارب برقم ٦١٧١ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- البقرة: ٢٨٥.

٣- البقرة: ٢٨٦.

لذلك كانت هذه الآيات آيات كفاية للمؤمنين
جميعاً ببركة استجابة الصحابة رضي الله عنهم ، كما ثبت عن
رسول الله ﷺ :

(مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي
لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)^(١) .

المثال الثاني :

ونجد في آيات سورة آل عمران أنهم لما استجابوا لله
والرسول ﷺ مع ما هم فيه من الألم والمشقة وقالوا:
﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢) ، كفاهم الله
تعالى كيد الكفار، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَّمْ
يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ .

فبقي قول النبي ﷺ والمستجيبين من الصحابة
رضي الله عنهم ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كفاية
للمستجيبين من المؤمنين على مر السنين.

لذلك مجد الله ذكرى أولئك المؤمنين الذين تحلوا
بفضيلة الاستجابة متوكلين على الله، مما دفعهم

١- رواه البخاري ٣٧٠٧ ومسلم برقم ٨٠٧ كلاهما من حديث أبي مسعود

رضي الله عنه

٢- آل عمران: ١٧٣ .

إلى مواصلة الجهاد، على الرغم من آلامهم وجراحهم، قال الله تعالى في وصفهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا: لا محمدًا قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم؟ ارجعوا فاستأصلوهم.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يهرب العدو، ويريه من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذي أصابهم يوم أحد، ونادى منادى رسول الله ﷺ ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله إن أبي كان قد خلفني على أخوات لي سبعة، وقال لي: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي

١- آل عمران: ١٧٣.

أؤثرَك على نفسي في الجهاد مع رسول الله ﷺ فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه.

وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا.

فخرج رسول الله ﷺ ومعه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً، حتى بلغوا حمراء الأسد. وهي من المدينة على ثمانية أميال^(١).

حينها: «ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث منَّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة، والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزوة تامة، فيسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم»^(٢).

١- تفسير البغوي ١٣٦/٢، سيرة ابن هشام: ١٤٣/٢-١٤٤، تفسير الطبري ٤٠٠/٧-٤٠١.

٢- تفسير السعدي ص: ١٥٧.

وهكذا تتألق فضيلة الاستجابة بنهايات النصر والكفاية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾^(١). نجد استجابة سريعة من العبد لربه تبعثها كفاية له من الله عز وجل.

٦ . بالاستجابة تغفر الذنوب :

قال الله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢).

قال الشنقيطي: منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمداً ﷺ ، وآمن به، وبما جاء به من الحق غفر الله له ذنوبه وأجاره من العذاب الأليم^(٣).

وقد دعا الله عز وجل عباده إلى المسارعة بفعل الطاعات ووعدهم بمغفرة منه، وجنة عرضها السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

١- آل عمران: ١٧٢.

٢- الأحقاف: ٣١.

٣- أضواء البيان ٣٣٦/٧.

٤- آل عمران: ١٣٣.

ويستدل على ذلك أيضاً بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١).

وكما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

٧- التمكين في الأرض وتحقيق وعود النصر :

قال بعض العلماء: الأمة المحمدية تنقسم إلى قسمين:

- أمة الدعوة .

- أمة الاستجابة.

فكل من بلغه هذا الدين فهو من أمة الدعوة، سواء استجاب أو لم يستجب، فمن بلغته الدعوة دخل في نطاق أمة البلاغ، ومن استجاب وطبق هذا الدين عقيدة وقولاً وعملاً فهو من أمة الاستجابة، إذ ليس المقصود مجرد الانتماء للأمة المحمدية، إنما المطلوب الانتماء إلى أمة الاستجابة.

١- الأحزاب: ٧٠-٧١.

٢- رواه البخاري برقم ٤٩٤ ومسلم برقم ١٤٤ كلاهما عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه.

وبتوضيح أدق: هناك من المسلمين من ينتمي إلى الأمة الإسلامية بالهوية أو بالولادة فقط، بينما من المسلمين من ينتمي إلى النبي ﷺ انتماء استجابة وانقياد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١).

إن من استجاب لدعوة النبي ﷺ فهو من أمته أمة الاستجابة، الأمة المسلمة، وهذا الاسم الذي رضىه الله لنا ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

فمن سمع الحق وفهمه وتدبر القرآن ووعاه وعمل به واتبع رسوله ﷺ فيما أمر ونهى، دخل في مجموع أمة الاستجابة.

وعندئذ فإن جميع الوعود التي وعدها الله للمؤمنين تنطبق على الأمة المستجيبة، التي هي خير أمة

١- رواه مسلم، برقم ١٥٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- الحج: ٧٨.

أخرجت للناس كما أخبر الله عز وجل وجعل خيريتها
 في قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

فلولم يؤمنوا بالله، ولم يأمرُوا بالمعروف، ولم
 ينهوا عن المنكر، فهم ليسوا معنيين في هذه الآية، إذاً
 الوعود المتعلقة بمجموع الأمة لا تتحقق إلا إذا كانت
 مجموع الأمة مستقيمة على ما يرضي الله عز وجل
 حينها يفي الله لها ما وعدها الله به.

فمن الذين وعدهم الله بالنصر؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن
 يَنْصُرُهُ﴾^(٢).

﴿إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمُ﴾^(٣)

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

من هم الغالبون والأعلون؟

الجواب: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٥).

١- آل عمران: ١١٠.

٢- الحج: ٤٠.

٣- محمد: ٧.

٤- الروم: ٤٧.

٥- الصافات: ١٧٣.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(١).

لمن الخلافة في الأرض والتمكين؟

الجواب: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ^(٢).

فما أشد حاجة المسلمين اليوم مع ما أصابهم من التفرق والاختلاف وتسلط أعدائهم عليهم للعودة إلى ربهم، وإعلان استسلامهم واستجابتهم لله ورسوله. إن ما يصيب شعوب الإسلام اليوم هو عاقبة الإعراض وعدم الاستجابة، إذ إن عاقبتها وخيمة ونهايتها أليمة. وتأمل إلى نذارة نفر الجن لقومهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ^(٣). الذي لا يستجيب لا يعجز الله أن يأتي به ويوقع عليه الجزاء، ويذيقه العذاب الأليم، فلا يجد له من دون

١- آل عمران: ١٣٩.

٢- المائدة: ٩.

٣- الأحقاف: ٣٢.

الله أولياء ينصرونه أو يعينونه، وأن هؤلاء المعرضين ضالون ضلالاً بيناً عن الصراط المستقيم^(١).

يا شعوب الإسلام..

يا أمة الاستجابة..

رفعتم رايات الرفض والغضب تجاه ظلم الأنظمة والقيادات، فلم لا ترفعون رايات ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾^(٢)، وتعلنوا نداءات ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾^(٣)، وتقوموا لله مثنى وفردى شعوباً وقيادات، قومة أوبة وإصلاح وإجابة واستدراك عملاً بقوله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٤).

فلن تصلح أحوالنا ولن تستقر شعوبنا ويرفع عنها الظلم والقهر حتى تستجيب الشعوب بمجموعها لأمر الله وتكون لله كما يراد منها.

وإنما يتحقق هذا الأمر بأن يبدأ كل فرد مع نفسه يحاسبها ويقودها إلى الخير ويزجرها عن الشر، ويقيم

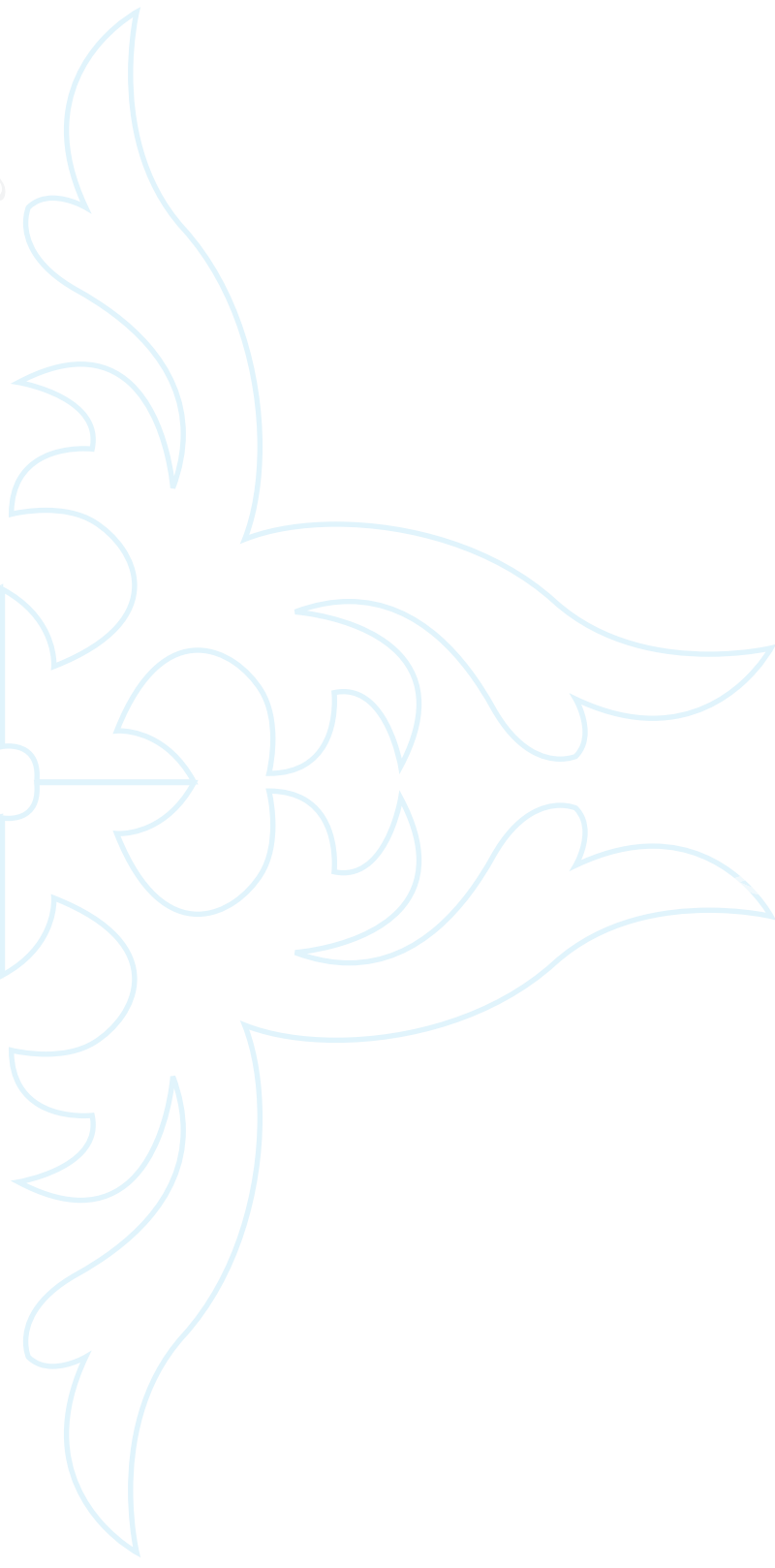
١- في ظلال القرآن ٦ / ٤٢٩.

٢- الأعراف: ٢٣.

٣- الأعراف: ١٥٦.

٤- الأحقاف: ٣١.

الإسلام في بيته ، يأمر أهله بالصلاة، ويطهر ماله من الحرام، ويربي أبنائه على قيم الإسلام، وتتقي المرأة ربها في نفسها وفي حشمتها وعفتها، وأن نكون جميعاً على مستوى الإيمان والدين الذي رضيهِ الله لنا، وحينئذ يبدل الله الحال غير الحال ونفرح جميعاً بنصر الله.

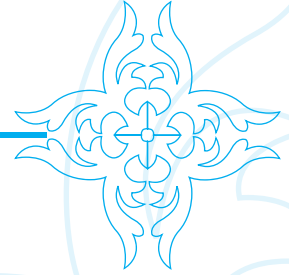




طبقات المستجيبين



طبقات المستجيبين



إن من حكمة الله عز وجل أن جعل الناس طبقات متباينة مختلفة في معاشهم ومعادهم وفي طريق سيرهم إلى الله عز وجل والاستجابة له.

وينقسم الناس من حيث استجابتهم إلى قسمين:

القسم الأول :

المستجيبون لربهم قال تعالى:

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١).

أي: "يستجيبون لربهم فيما دعاهم له ويلبون دعوته لأن معهم من الإيمان والعمل الصالح ما يحملهم على ذلك"^(٢).

١- الشورى: ٢٦.

٢- تفسير السعدي ص ٧٥٨

والقسم الثاني :

غير المستجيبين، وقد قال الله فيهم: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١)، فالمقصود بغير المستجيبين لله "المعاندون الذين كفروا به وبرسله"^(٢).

والقرآن يدل على أن كل مسلم مستجيب -وإن اختلف مقدار استجابته- قال ابن عاشور رحمة الله: "الاستجابة لله ثابتة لجميع من آمن بالله"^(٣). وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٤)، فيستدل على أمر الله بالاستجابة أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله ﷺ في حكم من الأحكام الشرعية، المبادرة للعمل به، وترك ما يخالفه من الرأي أو أقوال الرجال^(٥).

١- القصص: ٥٠.

٢- تفسير السعدي، ص ٧٥٨.

٣- التحذير والتنوير لابن عاشور ص ١١١/٢٥.

٤- الأنفال: ٢٤.

٥- فتح القدير للشوكاني ٣/٣٤٢.

وعلى هذا فإن العباد يتفاوتون في استجابتهم لله
 كتفاوتهم في درجات الإيمان والتقوى على طبقات ثلاث
 نص عليها القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا
 الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
 وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ (١).
 فهم ثلاث طبقات:

- المستجيبون السابقون .
- والمستجيبون المقتصدون .
- والمستجيبون الظالمون لأنفسهم.

وهذه الدرجات الثلاث هي المقصودة في قوله
 تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرْتَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
 وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

فأقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ﷺ
 ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه وحتى يسلموا
 لحكمه تسليماً، وهذا حقيقة الرضا بحكمه.

١- فاطر: ٣٢.

٢- النساء: ٦٥.

- فالتحكيم في مقام الإسلام .
- وانتفاء الحرج في مقام الإيمان .
- والتسليم في مقام الإحسان ^(١) .

والاستجابة المأمولة هي الاستجابة الخاصة، وهي الاستجابة المثلى التي تمحص القلوب، فتبين قوة الإيمان وقوة الصلة بالخالق سبحانه في ساعات تتوالى فيها الفتن، وتندلع حولها نيران الشهوات، وتتكاثر فيها مزالق الشبهات، فيسطع في القلب نور الحق، فيحرق الشبهات المضللة، ويخمد الشهوات المثبطة؛ ولذا يحمد عند الله الذكر في مجالس اللهو، والصلاح في وقت الشباب، والعلم في زمن الجهل، والشجاعة في وقت الجبن، ولو كانت الاستجابة المأمولة منك هي الاستجابة التي ترى مظاهرها لدى كثير من المسلمين لما كان هناك من ميزة، فعامّة المسلمين من المستجيبين لله، ولكن الاهتمام ينصب على الطبقة الأولى التي تتطلب همة عليا وعزيمة صادقة ولكن الله ييسرها لمن يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٢).

١ - مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٠١.

٢ - العنكبوت: ٣٩.

الطبقة الأولى :

المستجيبون السابقون :

إن هذه الدرجة هي أعلى الدرجات وأكملها، نالها قليل من الطالبين الذين اجتهدوا في تحقيق الاستجابة المثلى، جعلنا الله وإياك منهم .

فمن هؤلاء؟

ذكر العلماء أقوالاً في ذلك:

قيل : إنهم الأنبياء.

وقيل : هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة.

وقيل : السابقون إلى المساجد والصلوات الخمس.

وقيل : السابقون إلى الجهاد.

وقيل : السابقون إلى البر.

وقيل : السابقون إلى طاعة الله.

وقيل : السابقون إلى الله بالتقرب بالنوافل بعد

الفرائض^(١).

والمعنى الجامع لهذه الأقوال أن المستجيبين

السابقين هم من تسابق للقرب من الله بالاستجابة

١- الدر المنثور للسيوطي ١٥٤/٦، تفسير القرطبي ٦٣٦٩/٧، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ١٩، شرح الطحاوية لابن أبي العز ٥٠٨/٢

بالنوافل بعد الفرائض في أعمال القلوب والجوارح،
وما أجمل ما ذكره ابن رجب رحمة الله حيث قال:
"هم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد
في النوافل والطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات
بالورع"^(١).

ولا شك أن أعظم الناس استجابة الأنبياء عليهم
السلام حيث قاموا بأعظم ما أمر الله به لتحقيق
كمال التوحيد في أنفسهم والدعوة إليه في أقوامهم،
وأكمل الأنبياء في الاستجابة محمد ﷺ، فإبراهيم عليه
السلام، ثم بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام، ثم
الصحابة رضي الله عنهم، ثم من تبع منهجهم وسار
على طريقهم.

وعلى هذا فمن حقق الاستجابة المثلى فلن يخالف
توحيد الله أو شرعه، ولن يذهب لساحر أو كاهن أو
عراف أو منجم، كما إنه لن يحكم بغير شرع الله،
ولن يأكل الربا، أو ينظر لما حرم الله، أو يقدم هواه
وشهوته على أمر الله ورسوله ﷺ.

١ - جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٣٩.

ولعظم أمر الاستجابة اتخذت وسيلة يتوسل بها إلى الله في إجابة الدعاء ومغفرة الذنوب ودخول الجنة، كما قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(١). فقد توسل إلى الله بما سلف له من الاستجابة^(٢).

ولعلك تتفكر فيما ورد في توسل أولي الألباب والعقول الراجعة حيث قال تعالى حكاية عنهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١١١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ^(١١٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ^(١١٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ^(١١٤) ﴿٣١﴾

١- مريم: ٤.

٢- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٤/٣.

٣- آل عمران ١٩١-١٩٤.

ففي هذه الآيات توسلات ضارعة صادرة عن قلوب
منيبة خاشعة، وكانت توسلا بسرعة الاستجابة لداعي
الله عز وجل دونما تردد^(١).

وصاحب هذه المرتبة سيقدم محاب الله على محابه،
وسيترك كل شبهة ويخرج من كل شهوة بل ويدع شيئا من
الحلال حتى لا يقع في الحرام، قال بعض الصحابة: «كنا
ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في الحرام»^(٢).

١ - التوسل في كتاب الله لطلال مصطفى ص ٢٦.

٢ - مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٣.

الطبقة الثانية :

المستجيبون المقتصدون :

وهذه هي الدرجة التالية في الفضل لدرجة السابقين ويسمون المقتصدين وأصحاب اليمين والأبرار.

فمن هو المستجيب المقتصد ؟

إنه المؤمن المطلق الذي أدى ما أوجب الله عليه واجتنب ما حرم الله عليه ولم يرتكب كبيرة، ولم يترك فريضة، ولم يكلف نفسه بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات^(١).

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٨/٧-٣٦١، الفرقان لابن تيمية ص ١٩.

الطبقة الثالثة :

المستجيبون الظالمون لأنفسهم :

إن لكل مسلم استجابة لله وإن ضعفت أو قلت فالاستجابة كالإيمان تزيد وتنقص بحسب ما يكون للعبد من العمل، والظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور أو بفعل محظور فهو صاحب الذنب المصر عليه^(١) فهو ظالم لنفسه بالمعاصي دون الشرك فله حظ الإيمان^(٢).
ويلخص ابن القيم رحمة الله أحوال هذه الطبقات الثلاث فيقول:

«وهؤلاء كلهم مستعدون للسير، موقنون بالرجعى إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.
فالظالم لنفسه مقصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته، بل مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود بما يتأذى به في طريقته، ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذي والمقتصد، اقتصر من

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦١/٥ ، الفرقان لابن تيمية ص ٢١.

٢- طريق الهجرتين لابن القيم ص ١٩٠.

الزاد على ما يبلغه، ولم يشد مع ذلك أحمال التجارة
الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم .
لكن فاتته المتاجرة الرابحة وأنواع المكاسب
الفاخرة، والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح
وشد أحمال التجارات، لعلمه بمقدار الربح الحاصل،
فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده ولا يتجر به، فيجد
ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم ، فهو كرجل
قد علم أن أمامه بلدة: الدرهم يكسب فيها عشرة إلى
سبعمئة وأكثر، وله خبرة بطريق ذلك البلد وخبرة
بالتجارة، فهو لو أمكنه بيع ثيابه وكل ما يملك حتى
يهيئ به تجارة إلى ذلك البلد لفعل، فهكذا حال السابق
بالخيرات بإذن الله يرى خسراناً بيناً أن يمر عليه وقت
في غير متجر»^(١).

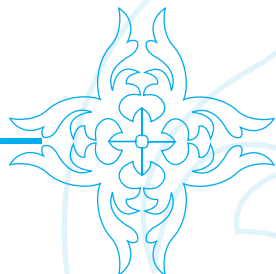
١ - طريق الهجرتين، ابن القيم ص ١٧٧ .



عوائف في طريق الاستجابة



عوائف في طريق الاستجابة



قسم الله تعالى عباده إلى فريقين: مستجيب لربه وجزائه الحسنی، وغير مستجيب وجزاؤه النار قال الله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ سَوَاءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلْمُهَاذِبِ ۖ﴾^(١) .
فقلوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ﴾ أي: أجابوا لربه فأطاعوه ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ سَوَاءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلْمُهَاذِبِ﴾ أي لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ سَوَاءُ الْحِسَابِ﴾ .

١- الرعد ١٨

قال إبراهيم النخعي رحمة الله:

"سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ أي في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿أي الفراش﴾^(١).

فالفرق بين المستجيب وغير المستجيب هو نفسه الفرق بين المؤمن والمنافق، فإن الفرق بين المؤمن والمنافق يظهر في سرعة الاستجابة والمبادرة، والسمع والطاعة والانقياد للحق إذا ظهر.

يقول الله تعالى مبينا صفات الفريقين في ذلك:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ هُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢).

١- تفسير البغوي ٣٠٩/٤.

٢- النور ٤٧ - ٥٢.

فشأن المؤمن المخلص أن يسارع في الاستجابة ولا يتباطأ عن مواطن الخير؛ لأن التباطؤ في الخير والثقل دونه، من شأن الذين في قلوبهم مرض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

هنا يُطرح سؤال مهم:

لماذا لا يستجيب بعض الناس لربهم الذي خلقهم وشرع لهم ديناً قيماً سمحاً ما جعل عليهم فيه من حرج؟
الجواب: إنه الابتلاء بالسنن الإلهية التي يجريها الله على عباده، ليتبين المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢).

وفي الصفحات التالية نستعرض عدداً من المعوقات التي تكتنف طريق الاستجابة لله تعالى ورسوله ﷺ :

١- النساء: ٤٢.

٢- العنكبوت: ٢.

معوقات الاستجابة

١- ضعف الإيمان بالله واليوم الآخر :

فيحصل منه الاغترار بالله وعدم تعظيم أوامره، ونسيان الآخرة، وهذا ينشأ في الغالب من الجهل بالله تعالى، والإعراض عن تعلم دينه، فيغلب على الإنسان الغفلة والظنون والغرور، كما قال الله تعالى :

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْدَىٰ ۚ ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۚ﴾^(٢)

وهذا الداء يعالج بالعلم والتعلم والنظر في كتاب الله نظر المتدبرين المسترشدين؛ لأن القرآن هو كتاب الله الذي يهدي إليه ويُعرَّفُ العبد بربه، فيستنير قلبه بنور معرفته، ويزداد شوقاً إلى جنته.

١-النجم: ٢٩-٣٠.

٢-الكهف: ٢٨.

٢ - الكبر والاستعلاء عن قبول الحق :

يقول النبي ﷺ في بيان معنى الكبر: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)^(١)، واطر الحق هورده بعد ما يتيئ، فكل من رد الحق ولم يذعن له فهو متكبر شاء أم أبى. أليس الكبر هو الذي أخرج إبليس من ملكوت السماوات وأنزله إلى الأرض، وأتبعه باللعنة والغضب؟ بلى: إنه الكبر الذي دفعه إلى عدم إجابة أمر الله تعالى بالسجود لآدم، فجرَّ على نفسه اللعنة إلى يوم الدين. إنه الاستعلاء الآثم على حكم الله ورسوله ﷺ، وهذا الاستعلاء الذي تؤزله النوازع الشيطانية في النفوس البشرية. فهذا جبلة بن الأيهم ملك من ملوك الغساسنة يطوف بالكعبة بعد أن أسلم، فإذا بأعرابي يدوس خطأ على إزاره، فالتفت إليه جبلة بن الأيهم ولطمه على خده. فقال الأعرابي: لأشكونك إلى عمر أمير المؤمنين. استدعى عمر جبلة وخيره بين أمرين:

- إما أن يعتذر له وأن يترضاه .

- وإما أن يلطم الأعرابي جبلة بن الأيهم .

١ - رواه مسلم (٦٦/١) برقم (١٤٧) عن ابن مسعود.

فدهش جيلة الملك الغساني من حكم عمر
(وهو حكم الإسلام) وقال: كيف تسوي بيني وبينه، إنما
أنا ملك وهو سوقه^(١).

فقال عمر رضي الله عنه: إن الإسلام سوى بينكما، فدعك من هذا.
فقال جيلة: أجلني حتى أختار، فلما كان الليل هرب
مع حاشيته إلى بلاد الروم، وتصرّ مرتداً عن الإسلام^(٢).
هناك من المسلمين من يحمل نفساً مثل نفس
جيلة في استعلائها على حكم الله ورسوله ﷺ، ولكنها
تحتال على الأمر بالمبررات الواهية، وتستند على
الأقوال الشاذة والمضطربة.

ومنه: الكبر والترفع بدعوى جاهلية مقبلة، وهي
فتنة الطبقية والقبلية والتفاخر بالأحساب والطعن
بالأنساب، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣)

١- أي من عامة الناس.

٢- ذكرها ابن كثير في « البداية والنهاية » (٦٣/٨) وابن عساكر في « تاريخ
دمشق » (١١/١٩)، والبيهقي في كتابه (المحاسن و المساوئ) ص ٧٢ .

٣- الحجرات ١٣ .

فليس في ديننا فضل لصاحب نسب على نسب،
فالكل سواسية، وقد زوج النبي ﷺ بنت عمته زينب
بنت جحش لزيد بن حارثة - مع أنه من الموالي -
بعدما اشتراه النبي ﷺ وأعتقه، فهلا استجبنا؟!

٣- اتباع الهوى :

أضر شيء على دين الإنسان الهوى إذا خالف نهج
الكتاب والسنة، وما من معرض عن حكم الله ولرسوله
ﷺ إلا والهوى سبب من أسباب إعراضه.

قال الله تعالى مبيناً أن عدم استجابة الكفار للنبي ﷺ
إنما هو اتباعهم لأهوائهم: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

في قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دليل على أن
كل من لم يستجب للرسول ﷺ وذهب إلى قول مخالف
لقوله، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى^(٢).
إنَّ الله تعالى حذر الناس من اتباع الهوى إذا خالف

١- القصص: ٥٠.

٢ - تفسير السعدي ص ٦١٧.

الحق والدين، بل حكم بأن الذين يطيعون أهواءهم في ذلك يعبدون غير الله، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١)

وليحذر المسلم من تمكن الهوى، فإن الهوى إذا تمكن من صاحبه صعب عليه التخلص منه، وإن النفس إذا رأت من صاحبها طاعة دائمة طمعت بكثرة الطلب، ولم تتوقف شهوتها عند حد معين، فهي تنتقل من كثرة المباحات التي تقسي القلب، إلى المكروهات، ثم إلى المحرمات، حتى تستقوي على صاحبها.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمة الله :
 "إذا عرض لك أمران شككت في خيرهما فانظر أبعدهما من هواك فإنه خير"^(٢).

والمقصود أن يأخذ نفسه بخلاف هواها فيما يتبين له ، فلا يسامحها في ترك واجب أو ما يقرب منه، ولا في ارتكاب معصية أو ما يقرب منها^(٣).

١- الجاثية ٢٣.

٢- تفسير الثعلبي ٣٦٢/٨

٣- منارات في الطريق العزيز الجليل ٧٧.

ويمكن التخلص من الهوى بجرعة صبرٍ يُصَبِّرُ نفسه على مرارتها تلك الساعة مع سؤال ربه: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه». ولينظر المسلم إلى نفسه ويسألها:

هل الشيء الذي أهواه وأحبه محبوب لله ورسوله ﷺ أم لا؟

هل الأمر الذي أنشط له وأرغب فيه وأسعى إلى تحصيله مما يحبه الله ورسوله ﷺ أم لا؟

فإن كان ما يهواه مما يحبه الله ورسوله فليبشر بالسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كان غير ذلك، فالبدار البدار إلى تصحيح المسار، وتعديل العلاقة مع الله تعالى، لينال سعادة الدنيا وفوز الآخرة.

٤ - مسايرة الواقع والخوف من الناس :

إن المشي مع العادات ومراعات رضا الناس وسخطهم، فتنة لا يستهان بها ، سقط فيها كثير من الناس وضعفوا عن مقاومتهم، فما أكثر صور المخالفات التي هي نتاج هذا العائق فما نرى من تقليد سافر لمظاهر البذخ والإسراف والتقليد الأعمى لأهل المعاصي والمخالفات

إنما هو من جراء هذه المسايرة، وإذا ذكّرهم مذكر قالوا: هكذا يريد المجتمع وكل الناس يفعلونه، ونسوا حديث رسول الله ﷺ: «من التمس رضا الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن إلتمس رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»^(١).

وكم من الناس يريد الطاعة والاستقامة والالتزام بأوامر الله ورسوله؛ لأنهم يعلمون يقيناً أن السعادة في القرب من الله، وأن الشقاء كل الشقاء في البعد عنه، ولكنهم يترددون ويتراجعون ويحجمون ولا يتقدمون، والسبب في ذلك هو الخوف من كلام الناس وأذاهم أو سخريتهم واستهزائهم ...

فيقال لمن وجد هذا في نفسه: ومن هم الناس؟؟ هل هم يملكون رزقك أو أجلك أو حياتك أو نشورك؟؟ وأي شيء سيحصل بأذى الناس و ذمهم، وقد كفى الله عبده المؤمن بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢).

١- رواه ابن حبان (٥١٠/١) برقم (٢٧٦) عن عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٥٠).
٢- الزمر: ٣٦.

قال ابراهيم ابن أدهم «مالي وللناس كنت في بطن أمي وحدي وخرجت إلى الدنيا وحدي وأموت وحدي وأدخل قبري وحدي وأسأل وحدي وأبعث من قبري وحدي وأحاسب وحدي فإن دخلت الجنة دخلت وحدي وإن دخلت النار دخلت وحدي، ففي هذه المواطن لا ينفعني أحد فمالي وللناس»^(١).

ثم يقال له: أتريد جنة عرضها السماوات والأرض بلا تعب ولا كدّ ولا بلاء ولا تمحيص ولا اختبار؟ كيف يكون ذلك!

وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) إن من يريد مركزاً اجتماعياً أو منصباً دنيوياً لأبد له في سبيل الحصول عليه من كدّ وتعب وتضحية بالوقت والجهد، غير مبال بنقد الحاسدين ولا ذم العاذلين فكيف بمن يريد سعادة الدنيا والآخرة، إن الأمر لأبد له من عوائق: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).

١ - إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ابن عجيبة ١٧٦/١

٢ - آل عمران ١٤٢

٣ - العنكبوت: ٣.

ثم إن الاستهزاء وسيلة شيطانية يطلقها الشيطان وأعدائه من بني آدم على كل من يريد القرب من الله، فما سلم منه الأنبياء والمرسلون حتى نسلم منها نحن، قال الله عن نوح واستهزاء قومه به: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(١).

٥- الدنيا وإغراءاتها وشهواتها :

إن الدنيا ومغرياتها وشهواتها لا يماسك أمامها إلا من ثبته الله عز وجل ، فخاف مقام ربه سبحانه، ونهى النفس عن الهوى، وكان في عمره حذرًا خائفًا من مزالات الأقدام ومضلات الفتن.

ولقد وجد في زماننا اليوم من مغريات الدنيا وفتنها وشهواتها ما أصبح سببًا في تساقط كثير من الناس في حبالها، وبعدهم عن طريق الاستقامة، حيث انفتحت الدنيا بزخرفتها وزينتها.

وشمل ذلك جميع جوانب الحياة، وسائر الناس بعضهم بعضًا فيها، وتنافسوا فيها حتى أوقعهم ذلك في الترف

١- هود: ٣٨.

المحرم، والتفاخر في الأموال والأولاد والمساكن واللباس ... إلخ، وكان للمرأة النصيب الأكبر من هذه الفتنة، ففتنت نفسها، وفتنت غيرها، وظهرت ألوان وألوان من المخالفات الشرعية لم يسلم منها إلا من رحم الله عز وجل .

كما انفتحت مجالات الإفساد على الناس من أوسع أبوابها المقروء والمسموع والمشاهد، والتي تركز على إثارة الشهوات، وإشاعة الفاحشة بين الناس وتسهيل أمرها. وقد يقاوم بعض أهل الخير هذه الشهوات والمفاسد، وينأى بنفسه وأهله عنها في أول الأمر، لكن قوة تيار الفساد، وشدة الضغوط التي تضغط عليه من داخل بيته، ومن خارجه، تجعل بعضهم لا يستطيع الاستمرار في المقاومة والثبات لما يواجهه من العنت والمشقة في ذلك. وقد يكون متأثراً في أول الأمر، لكن ما يلبث أن يستمرئ المنكر مع مرور الوقت، ويستسلم لهواه في ذلك.

ومما ابتلي به كثير من الناس في هذه الأزمنة من الشهوات، السفر إلى بلاد الكفر من غير حاجة ولا

ضرورة، وإنما بمبرر السياحة والفرجة، مع أن الواجب على المسلم أن يفر بدينه من الفتن لأن يفر إلى الفتن. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾^(١).

ولا يخفى على العاقل ما في هذا الصنيع من فتنة على الدين والأخلاق، ومما يزيد الأمر خطورة اصطحاب الأهل والأولاد إلى تلك البلاد، بالإضافة إلى ترك النساء لحجابهن واختلاطهن بالرجال وذهابهن إلى أماكن الاختلاط من مسارح وملاهٍ ومقاهٍ، فوق ما في تلك الأسفار من الإسراف وتبذير للأموال، وقد تعدى هذا الأمر من العامة إلى بعض المنتسبين من أهل العلم والدعوة. فلا يليق بمؤمن يرجو لقاء الله، إلا أن يمسك عن هذه الأسفار، ويحمي نفسه ودينه وأهله من الفتن، وكما قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ جُنِبَ الْفِتَنَ)^(٢).

١- طه: ١٣١.

٢- رواه أبو داود (١٠٢/٤) برقم (٤٢٦٣) عن المقداد بن الأسود، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٧٤٣).

٦- ضعف الإرادة وطول الأمل :

من الناس من يفكر في الاستقامة ويتمنى أن يستجيب، ويحسد المستقيمين على ما هم عليه من خير، لكنه لا يتحرك ولا يتقدم، وما ذلك إلا لضعف إرادته من جهة، ولتغلب الشيطان عليه من جهة أخرى؛ إذ غره بالتسويق وطول الأمل، إذ منهم من يقول: غداً أتوب، ومنهم من يقول: الأسبوع المقبل، أو إذا جاء رمضان، أو بعد الزواج، أو بعد عودتي من الحج، وهكذا!!!. وعلاج هذا الضعف، وهذا التغيرير، أن يتذكر العبد أن الموت يترصد له وينتظره، وإذا أخذه أخذه بغتة وعلى حين غفلة، وأنه إذا جاء فلا يتقدم ولا يتأخر، وأن يتذكر أنه ليس كل أحد يموت في سن متأخرة وعن عمر طويل، بل من هم من يموت في فراشه أو بين أهله.

قال الله تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

يا من بدنياه اشتغل و غره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل^(١)

١- المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

وليعلم العبد أن مجرد نية التوبة دون تحقيق لها، قد يثاب عليها، لكنها لا تنفعه ولا تشفع له ما لم يتبعها بعزيمة جادة؛ لأن العبرة بالعمل وبحسن الخاتمة.

٧- التقليد الأعمى والهزيمة النفسية :

لقد انبهر بعض المسلمين بما رأوه من حضارة الغرب، وما فيها من التقدم العلمي والصناعي، والترف المادي، وصاروا يحاكون الغرب في كثير من عاداته وتقاليده، وبخاصة أولئك الذين درسوا في بلاد الغرب، أو كانوا من المكثرين من الأسفار إلى بلدانهم، سواء للتجارة أو السياحة أو غيرها، أو الذين فتحوا قلوبهم وعقولهم وبيوتهم لثقافات الغرب وعاداته وفساده ومجونه التي تبث عبر القنوات وغيرها، مع خواء في العلم الشرعي، وضعف التربية الإيمانية (فوافق قلباً خالياً فتمكنا)، وظهرت كثير من المخالفات الشرعية، من أخطرها: موالة الكفار، والتنشبه بهم، وضعف البراءة منهم. وانتهاءً بدقائق العادات والممارسات في المأكل والملبس والمسكن... وغيرها.

٨- الفتاوى المضللة :

إن إفتاء الناس في دينهم أمانة عظيمة، كان السلف الصالح -رحمهم الله- يخافون منها أشد الخوف؛ لأنهم يبلغون عن الله عز وجل ، وعن رسوله ﷺ هذا الدين . وعامة الناس يتعلقون بفتاوى أهل العلم، وينفذون أقوالهم على أنها حكم الله تعالى.

نقل ابن الصلاح رحمه الله عن محمد بن المنكدر رحمة الله ، قال: "إن العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم"^(١).

ولو تأملنا في المخالفات التي يقع فيها الناس اليوم لرأيناها بسبب تعلقهم بفتاوى بعض من انتسب لأهل العلم مع قصور في علمهم وورعهم، فلم يكن عندهم الورع الذي يمنعهم من كتم الحق ومسايرة أهواء الناس. فكان من أسباب انحراف الناس: ووقوعهم في المخالفات الشرعية تسويغ بعض المفتين هذه المخالفات للناس، بلي أغناق النصوص، وتحكيم العقل والرأي في مقابلة النصوص، أو التعلق بأدلة

١- في أدب المفتي ص ٧٤، وانظر: الفقيه والمتفقه ١٦٨/٢.

واهية، أو الأخذ بشذوذات الفقهاء وزلاتهم، أو الاستدلال بقواعد التيسير وإنزالها في غير محلها.

كما يظهر في هذه الأزمنة المتأخرة حيث تساهل بعض المفتين وتسرعوا في إفتاء الناس بفتاوى تطير عبر وسائل الإعلام بشتى صورها إلى أصقاع الدنيا، فيعمل بها الناس، مع مخالفتها أحياناً للدليل الصحيح، أو حاجتها إلى مزيد من التأمل والدراسة، والنظر في حال المستفتي وزمانه ومكانه وقصده، أو الإفتاء في مسألة دون النظر إلى مآلات الفتوى فيها.

ومما يؤلم النفس أن نرى في هذا الزمان جرأة على أحكام الله عز وجل من الصغير والكبير والمرأة والرجل، لا يتورعون عن القول في شرع الله تعالى بلا علم^(١)، ونسي ذلك المفتي والمستفتي أن الله سيسألهم يوم القيامة بقوله: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

٩ - ضعف مواقف القدوات في الاستجابة :

وكما قيل: خطأ الكبير كبير؛ لأنه في موضع قدوة ويظن به الصواب، فينشأ عن ذلك جيل يتربى على

١ - وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم-فاستقم كما أمرت-عبد العزيز بن ناصر الجليل

٢ - القصص: ٦٥.

الضعف والتنازلات في الدين، ويشبّ الشباب على الضياع والطيش بلا هوية ولا انتماء، وتنشأ الفتاة على الميوعة والتقليد الأعمى.

فصاحب الرعاية مسؤول عن رعيته أمام الله فضلا عن مسؤوليته تجاه نفسه.

وحيثما تتبعنا مظاهر الضعف في الدين، والخلل في السلوك الأخلاقي، وجدنا من أبرز أسبابه، ضعف القدوة أو سقوطها بالكلية.

١٠- الخوف من الانتكاس :

إن من الناس من يجعل الخوف من الانتكاس وعدم الثبات عائقا يحول بينه وبين الاستجابة، كالتى لا تلبس الحجاب خوفا من نزعه، ومن يقول لا أصلي لأنى أخاف أن أتركها.

وهذا من استهزاء الشيطان ببعض الناس وهو أضعف شبهة وعائق على الإطلاق.

ويجاب عنه بضرب المثال؛ فهذا مثله مثل غريق في وسط أمواج قيل له: "اركب في سفينة"، فقال أخاف أن تتكسر السفينة.

فأثر الغرق على محاولة النجاة بهذا الخوف الأحمق.
ويقال لمن راوده هذا التفكير إن حمل هم الثبات
والخوف من الانتكاس أمر محمود، ولكن إذا كان بعد
التوبة والاستقامة، وقد قال النبي ﷺ :

”ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ
إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ
فِي النَّارِ“^(١).

١١- الاغترار بالأعمال الصالحة :

يقول الشيطان لبعض الناس:
أنت تصلي يكفيك ذلك ، ولماذا تتوب؟
لست الوحيد في العالم الذي يعصي، كل الناس يفعلون
ذلك! ليس ذنبك أعظم الذنوب، هناك من هو أسوأ منك.
وقد يقول لآخر:

لا يضرّك أن تُرابيَّ فأنت إنسان صالح لا تؤذي الجار،
وترحم الصغار، وتعين الفقراء وتحب عمل الخير،
وقلبك سليم على الآخرين.

١ - رواه البخاري برقم ١٥ ، ورواه مسلم برقم ٤٣ كلاهما عن أنس ابن
مالك رضي الله عنه .

فليحذر المسلم من الاغترار بوسوسته، وليحذر من
الاغترار بالطاعة.

فكم من طاعة أهلكت صاحبها إذا اغتر بها وفرح،
قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

فلا أحد يدري هل عمله هذا مقبول عند الله
أم لا؟.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٢).

سألت عائشة رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَتْ
عَائِشَةُ:

أَهُمَّ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ
الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ
وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ»^(٣).

وقال فضالة بن عبيد رضي الله عنه :

"لأن أكون أعلم من أن الله قد تقبل مني مثقال

١- الأعراف: ٩٩.

٢- المؤمنون: ٦٠.

٣- رواه الترمذي برقم ٣١٧٥ - ٧٩/٣ وابن ماجه برقم ٤١٩٨ وأحمد برقم
٢٥٣٠٢ في ١٥٩/٦ وصححه الالباني في السلسلة ١٦١/١ برقم ١٦٢

حبة خردل، أحب إلي من الدنيا وما فيها. لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢١٧).

١٢- الأصدقاء وجلساء السوء :

حينما يقرأ العبد آيات ربه التي تدعوه للاستجابة لأمره، ويسمع داعي الهدى إلى الاستقامة على شرع ربه، فإنه يرغب بسلوك طريق النجاة. ولكن ما يلبث إلا أن يحيط به أصدقاؤه وجلساؤه فيصرفونه عن أمر الله ويثبطونه دونه . فإن الصحبة قد تكون كالقيود التي تكبل الإنسان عن التخلص مما يود التخلص منه. وكم من رفيق صد صاحبه عن اتباع طريق الهداية والخروج من ظلمة المعصية إلى نور الهداية. حتى إذا كان يوم القيامة عضّ على يديه -لا أصابعه- ندماً وحسرة!

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) يُوَلِّقُ لَيْتَنِي

١ - المائة: ٢٧.

٢ - كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٩ وانظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٧/٢ للأصبهاني ، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١١١/٥ .

لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ
جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

تقول إحدى النساء:

«إنني عندما أجلس مع النساء في الاجتماعات
الدورية، أشعر بالضعف عن الالتزام بديني^(١) وإذا
جلست مع صاحباتي الخيرات في الدروس الشرعية
أشعر بالقوة في اتباع الحق».

وهذا الذي تحكيه هذه المرأة هو مثل واقعي لأثر
الصحبة في قوة الاستجابة وضعفها، والسعيد من
فارق كل رفقة تعيقه عن الاستجابة لنداء الإيمان،
واختار الرفقة التي تقربه إلى رضا الرحمن، وصبر
نفسه معهم مستعيناً بربه، ممتثالاً قوله تعالى:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ قَرْطًا^(٢))

١- الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

٢- ربما لأن بعض هذه المجالس يكثر فيها الغيبة والنميمة والقليل والقال،
وهذه معاصي لها أثرها السلبي في قسوة القلب.

٣- الكهف ٢٨.

١٣- اليأس من رحمة الله تعالى :

من عوائق الاستجابة في طريق التوبة اليأس من رحمة الله تعالى، فهناك من يدخل عليهم الشيطان من جهة اليأس من رَوْح الله، فيقول له: أنت فعلت وفعلت فكيف يغفر الله لك؟ يعظم في نفسه الذنب ليصده عن الاستجابة للأمر بالتوبة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)

ألا يستمع هذا اليأس لنداء الرحمن لعباده الغارقين في العصيان : ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). نعم إنه يغفر الذنوب جميعاً بما فيها الشرك والكفر إذا تاب العبد إليه وأتاب.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٣).

١- يوسف: ٨٧.

٢- الزمر: ٥٣.

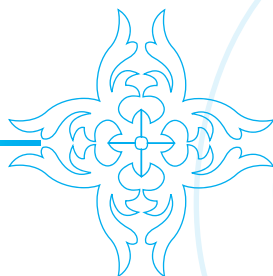
٣- رواه مسلم برقم ٢٧٥٩ عن أبي موسى رضي الله عنه .



الاستجابة بين الرهبة والرغبة



الاستجابة بين الرهبة والرغبة



تبقى امتحانات الرغبة والرهبة سنة الله الجارية في خلقه، ولو مع أوليائه وأهل طاعته، فلا يبقى حي إلا وهو مفتون مبتلى، فلكل دعوة برهان، ولكل قول حقيقة: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١).

ويأبى الله إلا أن يبتلي المحبين في صدق محبتهم، والمتقين في قوة إيمانهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾^(٢).

فهذا يريد الدنيا وذاك يريد الآخرة، قال تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٣).

١- العنكبوت: ٢.

٢- محمد: ٣١.

٣- سورة آل عمران: ١٥٢.

وهذا يؤثر رضى الله وذلك يؤثر رضى الناس، قال ﷺ:
«من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه
وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط
الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»^(١).

فلا تخلو الحياة من مواقف وخيارات تمحص الحقائق
وتسبر البواطن، لينال بها صاحبها نقاط التميز، ووسام
شرف الحياة الحقيقية الممتدة إلى جنات ونهر ورضوان
من الله أكبر.

وحين يُمتحن الإنسان تنكشف له حقائق نفسه من
خلال المواقف، فهب أن إنساناً ألف كتاباً في الأمانة،
فلن يكون أميناً حتى يتعرض لموقف يُطالب فيه بأداء
الأمانة، فإن أدى الأمانة فهو حينئذ المؤمن المؤمن.

أمثلة لمواطن الرهبة :

والمؤمن بين مواقف الرغبة والرهبة في امتحان كبير دائم:

فمن الرهبة: الخوف من عاقبة الاستجابة في باب الإنفاق، فيخشى الفقر ويأمل الغنى، والله تعالى يقول: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).
ومن الرهبة: الخوف من الناس في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بحجة الخوف من أذاهم، أو اليأس من اهتدائهم، كما قال قوم في كتاب الله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾^(٢).

والمتامل في آية الأمر بالاستجابة لأمر الله والرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ﴾^(٣) ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(٤).

١- سورة البقرة: ٢٦٨

٢- سورة الأعراف: ١٦٤

٣- سورة الأنفال: ٢٤ - ٢٥

والفئة المذكورة في الآية ربما تعدت الخصوصية لتصيب فاعل الظلم وغيره، يدرك خطورة عدم الاستجابة لأمر الله ورسوله رهبة في الناس. وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، ويكون اتقاء هذه الفتنة بالنهي عن المنكر وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يُمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن ^(١).

ومن الرهبة: الخوف من الناس ومن نقدمهم في مخالفة عوائدهم المحرمة، والله تعالى يقول:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢).

ومن الرهبة: تخويف المرأة من ارتداء الحجاب الشرعي الساتر لجميع بدنها، بما في ذلك غطاء الوجه، استجابة لأمر الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ^(٣).

وأن ذلك مما يلحق بها الضرر، وأنه يضيق عليها فرص التعليم والعمل.

١- تفسير السعدي ص ٣١٨

٢- سورة التوبة : ١٣

٣- الأحزاب: ٢٨.

أمثلة لمواطن الرغبة :

وأما الرغبة: فمنها فتنة الأموال وأنواع المكاسب المادية، فقد يمر على الإنسان عروض الربح الميسر، والاستثمار المضاعف، من طرق محرمة أو أوجه مشبوهة. فما يمنع المؤمن إلا إيمانه بالتثبت حيالها والاستجابة لأمر الله فيها، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

ومن الرغبة: تلك الميول البشرية بين الرجل والمرأة، فقد جاءت الشريعة بتنظيمها، وتأطيرها في حدود ما يشبعها على وجه تحصل به المنافع وتندفع به المضار، فحرم الله الزنا وشرع الزواج.

وقد ابتلينا في زمننا هذا بفتنة عظيمة كاشفة جارفة، ألا وهي فتنة اختلاط النساء بالرجال، وتساهلهم في هذا الباب باسم القرابة أو الصداقة أو زمالة العمل والتعليم.

فها هنا يتميز أهل الاستجابة واليقين الراسخ من الرجال والنساء، ممن يخافون أن يُحشروا إلى ربهم

١ - البقرة : ٢٧٨

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع، الذين يخشون ربهم بالغيب ويخافون سوء الحساب، إنهم المستجيبيون المخلصون كما أخبر الله عن قدوتهم النبي يوسف عليه السلام بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١).
استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢).

ومن الرغبة: عندما تكثر الدعايات المضللة، وينادي أرباب الشهوات إلى غيهم وباطلهم، بطرق ووسائل مهيجة تجعل الحليم حيران من مرئيات وسمعيات وفضائيات بهدف ميل الناس عن جادة الصواب، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾^(٣).

ناهيك عن تلك الموضات والملبوسات المخزية التي لا يقبلها العقل السليم فضلاً عن الدين القويم.

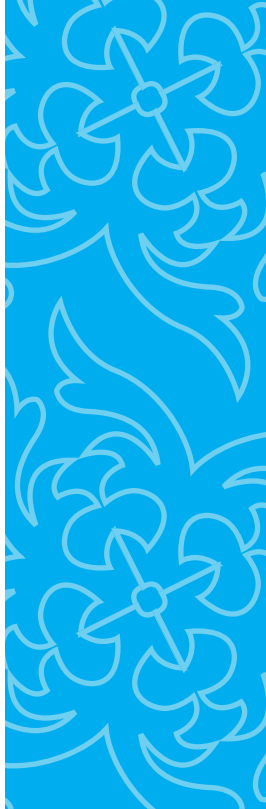
١- يوسف: ٢٤

٢- الإسراء: ٣٢

٣- النساء: ٢٧

حينها تقف استجابة المؤمن والمؤمنة على ميزان
حساس، يعرف بها قوتها من ضعفها وتمكنها من خفتها.
والمؤمن يحتاج إلى صبر دون تلك الرغبات فالصبر
واليقين مدد المستجيبين، والخفة والطيش وصف
المفتونين، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا
يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

١- سورة الروم: ٦٠



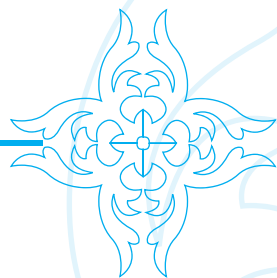
لك
استجبنا



نماذج من استجابہ السلف



نماذج من استجابة السلف ﷺ



الاستجابة لله ولرسوله ﷺ وتربية النفس على ذلك من معالم العظمة، وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على رغباتها.

إن تعاليم الدين ومحاب الله ورسوله ﷺ لا يطيقها الذين ركنوا إلى الدنيا فضعفت نفوسهم، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله لم يستأجر له أطفالاً أو مرضى أو كسالى، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، والسواعد القوية! كذلك الدين لا يقوم به ويتمثل تعاليمه إلا رجال كبار النفوس، ونساء عظيمات.

وهاهنا بعض النماذج المشرقة من مواقف السلف الصالح في المسارعة للاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ وهي غيظ من فيض، وقطرات من بحر، والأمثلة في

ذلك أكثر من أن تُسَطَّرَ أو تُحَصَّرَ، ولكن اللبيب تكفيه الإشارة، رزقنا الله الاستجابة له سبحانه ولرسوله ﷺ .

❖ سرعة استجابة الصحابة لما نزلت آيات تحريم الخمر :

كانت العرب في الجاهلية تشرب الخمر كما يشرب الناس الماء، وجاء الله بالإسلام فأسلم من أسلم من العرب، ولا زالوا على عادتهم من شرب الخمر.

فما الظنُّ بقوم يشربون الخمر منذ عشرات السنين، وأصبح الخمر جزءاً من شرابهم اليومي الذي ألفوه، لقد بلغ الإدمان بهؤلاء مبلغه، فهل يستجيبون لحكم تحريم الخمر إذا جاءهم؟

فلنترك أنس بن مالك رحمه الله يروي لنا هذه القصة بقوله:

«كنت ساقى القوم وأنا صغير في دار أبي طلحة، وإذا بمنادي رسول الله ﷺ ينادي: ألا إنَّ الله ورسوله ﷺ قد حرَّما الخمر».

فلنتخيل ذلك المجلس الذي اجتمع فيه رؤوس القوم يشربون الخمر:

- هل سيقولون نشرب هذه الكأس ثم نمثل؟

- أم يقولون نبتلع ما في أفواهنا من الشراب ثم نطبق أمر الله ونترك الخمر؟
 - أم يقول من ملأ منهم المخازن: أنهي ما قد صنعتها من الخمر ثم أمتثل؟

ما كان موقفهم لما سمعوا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا عَمَلٍ مِّن رَّجْسٍ وَالْأَرْزَمُ وَالْأَنْصَابُ وَالْمَيْسِرُ الْخَمْرُ إِنَّمَا ءَامَنُوا الَّذِينَ أَن الشَّيْطَانُ يُرِيدُ إِنَّمَا ۝٩٠ تُفْلِحُونَ لَعَلَّكُمْ فَاجْتَنِبُوا الشَّيْطَانَ ذِكْرَ عَن وَيَصِدَّكُمْ وَالْمَيْسِرُ الْخَمْرُ فِي وَالْبَغْضَاءِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَكُمْ يُوقِعْ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ فَهَلْ الصَّلَاةُ وَعَنِ اللَّهِ ۝٩١﴾.

إلا أن قالوا جميعاً : (انتهينا يا رب، انتهينا يا رب).
 فأخرج الناس ما عندهم من جرار الخمر وأراقوها في سكك وطرقات المدينة.
 قال أنس رضي الله عنه : «فأصبحت المدينة ثلاثة أيام ليس لها رائحة إلاّ الخمر»^(١).

كم من المسلمين اليوم من يسمع حكماً لله تعالى في أمر يفعله أنه محرم، فمن يفعل كفعل الصحابة رضي الله عنهم ويقول كما قالوا: "انتهينا يا رب، انتهينا يا رب"؟.

١- المائدة: ٩٠، ٩١.

٢- أصله عند البخاري برقم (٤٢٥٤) ، ومسلم برقم (٣٦٦٢) .

استجابة صديق الأمة وخليفة رسول الله ﷺ :

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه من أشد الصحابة رضي الله عنهم تصديقاً لكتاب الله، وإيماناً بالتنزيل، ومن أسرعهم استجابة لله ورسوله ﷺ والنماذج من حياته كثيرة: فمن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم في حديث الإفك الطويل بقوله:

"فلما أنزل الله براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرباته منه وفقره- : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنهم ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(١).

قال أبو بكر رضي الله عنهم: بلى والله إنني أحب أن يغفر الله لي.

فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً ^(٢).

١- النور: ٢٢.

٢- رواه البخاري (٣٠٩/٨) حديث رقم (٤٧٥٠).

فانظر كيف أن مسطح بن أثاثة رضي الله عنه خاض مع من خاض في عَرْضِ أم المؤمنين رضي الله عنها ومع ذلك ما إن نزلت الآية، حتى استجاب أبو بكر رضي الله عنه لأمر الله وأعاد النفقة التي كان ينفق على مسطح؛ لأن هدفهم هو رضوان الله تعالى والجنة .

استجابة فاروق الأمة الخليفة العادل رضي الله عنه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما أدراك ما عمر، عمر فاروق هذه الأمة، أول من لقب بأمر المؤمنين، الخليفة العادل، الذكي العبقري، المُحدِّثُ الملهم، عمر الذي وافق ربه في مواضع كثيرة، وكان ينزل القرآن مؤيداً لرأيه، وما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه، أعز الله به الإسلام، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ، والباب الحائل دون الفتنة، والوقوف عند حدود الله.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قدم عيينة بن حصن رضي الله عنه فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس رحمة الله، وكان من النفر الذين يدينهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه .

قال ابن عباس :فاستأذن الحرُّ لعينته ، فأذن له
عمر، فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله
ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل.
فغضب عمر حتى همَّ به.

فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى
قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(١)، وإن هذا من الجاهلين.
والله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها، وكان وقافاً
عند حدود الله ^(٢).

❖ استجابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال رسول الله ﷺ يوم خيبر:
«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح
الله على يديه»

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه
إياه وقال: «امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك».
فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا
رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟

١- الأعراف: ١٩٩.

٢- رواه البخاري (١٥٥/٨) حديث رقم (٤٦٤٢).

قال ﷺ قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(١).
فانظر أيها المسلم كيف طبق علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر الرسول لما قال له: «ولا تلتفت»، فلما ناداه لم يتلفت وأجابه.

❖ استجابة عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما

عُرف عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بشدة اتباعه للسنة، ومبادرته لامثال أي أمر يبلغه، فكان -على خطى أبيه رضي الله عنه- وقافاً عند حدود الله ومستجيباً دون تلوؤ أو تباطؤ، وإليك بعض الأمثلة:

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة» .

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : "ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي"^(٢).

١ - أخرجه مسلم (١٢١ / ٧).

٢ - أخرجه مسلم (١٢٤٩ / ٣).

٢ - استجابته رضي الله عنه عندما نزلت: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى

تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(١). قال الحافظ ابن حجر رحمته الله

«: وممن عمل بالآية ابن عمر رضي الله عنه ، فروى البزار

من طريقه أنه قرأها - يعني ابن عمر - قال: " فلم أجد

شيئاً أحب إليّ من مرجانة - جارية لي رومية - فقلت:

هي حرة لوجه الله ، فلولا أني لا أعود في شيء جعلته

للّه لتزوجتها" ، كما أعتق ابن عمر رضي الله عنه أيضاً نافعاً

مولاه، وكان أعطاه فيه عبدالله بن جعفر رضي الله عنه ألف

دينار، قالت صفية بنت أبي عبيدة: «أظنه تأول قول الله

عز وجل: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(٢).

٣- وأخرج أبو نعيم في الحلية عن نافع قال: كان ابن

عمر رضي الله عنه إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرّبه لربه .

قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما

شمّر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله عنه

على تلك الحالة الحسنه أعتقه.

فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن واللّه ما بهم إلا

أن يخذعوك فقال ابن عمر: "فمن خدعنا باللّه عز وجل

انخدعنا له" ^(٣).

١- آل عمران: ٩٢.

٢- آل عمران: ٩٢.

٣- حياة الصحابة (٢/ ٢٨٥).

٤- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً. فقال رسول الله ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا؟» قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. قال ﷺ: «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء». قال ابن عمر رضي الله عنه: «فما تركتها منذ سمعت رسول الله يقول ذلك».

استجابة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه

حينما دخل عبدالله بن رواحة رضي الله عنه المسجد والنبى ﷺ يخطب، فسمعه يقول: «اجلسوا». فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً على طواغية الله ورسوله»^(١). فبمجرد أن سمع الصحابي رضي الله عنه الأمر بالجلوس وهو لم يعلم من المقصود جلس قبل أن يدخل المسجد.

١- سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٢)، وأورده الحافظ في «الإصابة» ٧٨/٦، وقال: أخرجه البيهقي بسند صحيح إلى عائشة، وله سند آخر مرسل، والمرسل أصح سندا، ونسبه صاحب «الكنز» (٣٧١٧٣) إلى ابن عساكر.

❖ استجابة زيد بن حارثة رضي الله عنه

جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه بفرس له يقال لها شربلة، لم يكن له مال أحب إليه منها، فقال: هي صدقة. فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحمل عليها ابنه أسامة رضي الله عنه، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في وجه زيد فقال: «إن الله قد قبلها منك»^(١).

❖ استجابة جليبيب والفتاة المؤمنة رضي الله عنهما

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لا يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار: «زوجني ابنتك». ففرح الرجل وقال: (نعم، وكرامة يا رسول الله، ونعمة عين) والرجل يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها لنفسه. فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لست أريدها لنفسي». قال الرجل: فلمن يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «لجليبيب».

١- رواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٠٤/١) عن محمد بن المنكدر، ورواه الطبري في تفسيره (٥٩٢/٦) عن عمرو بن دينار، وهو مرسل كما قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف»: (١٩٤/١) ورواه عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره (٩٠/١) عن أيوب، و عن عبدالرزاق، وهو معضل كما قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف»: (١٩٤/١)

من هو جليبيب رضي الله عنه ؟

هو رجل من عامة المسلمين فقير دميم، ليس له قبيلة ذات منعة وقوة.

فقال الرجل: يا رسول الله أشاور أمها.

فأتى الرجل زوجته فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك. فقالت: نعم ونعمة عين.

فقال: إنه لا يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب. فقالت المرأة: لا، لعمر الله لا نزوجه.

فلما أراد الرجل أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت، سمعت البنت مقالة أبيها ورد أمها.

فقالت: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها.

قالت البنت الصالحة: (أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني) - أي: ادفعوني إلى النبي فإنه لن يختار لي إلا رجلاً صالحاً - فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «شأنك بها»، فزوجها جليبيباً رضي الله عنه .

فتزوجها جليبيب، وعندما سمع جليبيب عن نية رسول الله ﷺ في الخروج إلى الغزو وخرج معه استجابة لأمر الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله. وبعد أن انتهت المعركة، قال النبي ﷺ لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

قال ﷺ : «انظروا هل تفقدون من أحد؟»

قالوا: لا.

فقال ﷺ: «ولكني أفقد جليبيباً فاطلبوه في القتلى». فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتاه رسول الله ﷺ فقام عليه فقال: «قتل سبعة وقتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه» ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، ودُفِنَ له، ماله سرير إلا ساعد النبي ﷺ ، ثم وضعه في قبره ولم يُذكر أنه غُسلَ^(١).

فهذا الرجل دعاه حب الله ورسوله واستجابته لداعي الجهاد، إلى أن يبذل نفسه في سبيل الله، فكانت له

١- أصله عند مسلم برقم (٢٤٧٢) .

الشهادة من رسول الله ﷺ بهذه الكلمة: « هذا مني وأنا منه ». وأما تلك الفتاة الصالحة، فعندما رأى النبي ﷺ سرعة استجابتها لأمره دعا لها فقال: « اللهم صَبِّ عليها الرزق صَبًّا، ولا تجعل عيشها كدًّا^(١) » والمعنى: اللهم ابسط عليها الرزق ووسع لها فيه ولا تجعلها تتعب في طلبه.

قال أنس رضي الله عنه: فما كان من الأنصار أيمُّ أكثر نفقة منها. هكذا فلتكن استجابة المؤمنين، فلم يردّها عن امتثال أمر رسول الله ﷺ رغبة في شيء من زخرف الدنيا الزائل، وإنما اختارت طاعة رسول الله ﷺ وقدمتها على رغبات نفسها، فرضي الله عنها وأرضاها.

❖ استجابة معقل بن يسار رضي الله عنه :

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

١- رواه ابن حبان في صحيحه (٣٤٣/٩) برقم (٤٠٣٥) عن أبي برزة الأسلمي، وقال محققه شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح).

٢- البقرة: ٢٣٢..

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت فيه، قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: "زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً"، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْصُوهُنَّ أَنْ يَكْحَنَ أزواجهنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

فقلت: "الآن أفعل يا رسول الله"، قال: فزوجتها إياه. وفي رواية أنه رضي الله عنه قال: "سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها فزوجتها إياه"^(١).

❖ استجابة جابر بن سليم رضي الله عنه

حيث قال لرسول الله ﷺ: أعهد إلي.

قال ﷺ: «لا تسبن أحداً».

قال جابر: فما سببت بعدُ حراً ولا عبداً ولا بغيراً ولا شاة^(٢).

فتأمل حاله رضي الله عنه كيف استجاب لعهد نبيه ﷺ، بل إنه تجاوز الناس إلى عدم سب أي أحد حتى الحيوانات

١ - رواه البخاري (٨٩/٩)، حديث (٥١٣٠).

٢ - أخرجه أبو داود (٩٨/٤)، وصححه الألباني، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٣٦/١٠).

والجمادات، وذلك لأن لفظ "أحد" نكرة جاء في صياغ النهي وقد تقرر أن النكرة في صياغ النهي تفيد العموم، وهذا من فقهه رضي الله عنه.

استجابة رجل من الصحابة

رأى النبي ﷺ خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه وطرحه، فقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده». ف قيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك فانتفع به.

قال: لا والله لا أخذه أبداً؛ وقد طرحه رسول الله ﷺ (١). وما كان طلب الصحابة منه أن يأخذ الخاتم خروجاً عن حكمه ﷺ، ولكنهم فهموا أن النهي عن اللبس للرجال وليس النهي عن الانتفاع بقيمته، ولكن الرجل -لكمال استجابته- أثبت نفسه عليه أن يأخذه وقد طرحه ﷺ.

استجابة الربيع بن خيثم

روي عن الثوري رحمه الله أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خيثم قالت : كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة

١- صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (١ / ١٩٢). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح.

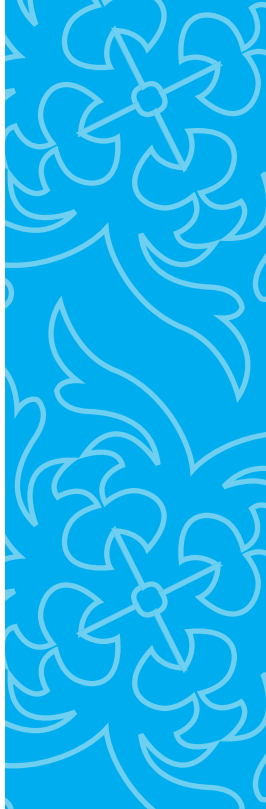
أعطي السائل سكرًا؛ فإن الربيع يحب السكر، قال
سفيان: يتأول قوله عز وجل: ﴿لَنْ نَأْلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

❖ استجابة عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله:

كان عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله يشتري أعدالاً^(١) من
السكر ويتصدق بها؛ ف قيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟
فقال: لأن السكر أحب إليّ فأردت أن أنفق مما أحب.
وقال الحسن رحمهما الله: "إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا
بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر
على ما تكرهون"^(٢).

١- جمع (عدل)، والعدل: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير).

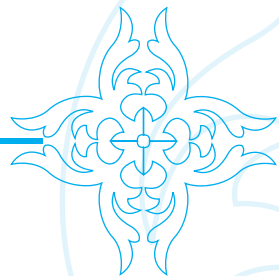
٢- تفسير القرطبي (١٢٨/٤).



نماذج من استجابة المعاصرين



نماذج من استجابة المعاصرين



ولا يزال في أمة محمد ﷺ -أفراداً وجماعات- من يضربون أروع الأمثلة في استجابتهم لله تعالى وللرسول ﷺ ، مع ما يجدونه من الابتلاءات وما يعترضهم من الصوارف والفتن.

وتبقى هذه الخيرية في أمة الاستجابة إلى آخر الزمان كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
"وأما قوله «أمتي كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره»
.. فمعناه أن في المتأخرين من يشبه المتقدمين

١- سنن الترمذي برقم ٢٨٦٩ ، حسنه الألباني وقال: حسن صحيح وحسنه شعيب الأرناؤوط.

ويقاربهـم حتـى يبقـى لقوة المشابهة والمقارنة، لا يدرى الذى ينظر إليه أهذا خير أم هذا وإن كان أحدهما فى نفس الأمر خيراً، فهذا فيه بشرى للمتأخرين بأن فيهم من يقارب السابقين^(١).

وقد تميزت بعض المواقف المعاصرة بسرعة استجابة أصحابها مع قوة العوائق أو العلائق فيما أمروا به أو نهوا عنه. ومن أمثلة ذلك:

❖ حسن إسلامها بعد فهمها للقرآن

جاءت إلينا خادمة كافرة، وبعد قرابة الشهر أسلمت وحسن إسلامها، وأهدينا لها مصحفاً مزوداً بتفسير الآي، وبعد أشهر حصل لها ظرف طارئ يستلزم عودتها لبلدها؛ لكنها جاءت إلي وقالت: لم يمنعني من الذهاب لبلدي إلا آية: ﴿بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١). وآية: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(٢). وقالت: أنا عقدي معكم سنتين، ولم ينته بعد! فدهشت مما قالت، وعجبت لسرعة استجابتها لكلام الله وفهمها له!

١- مجموع الفتاوى (١١/٣٧١).

٢- المائدة: ١.

٣- الرعد: ٢٠.

ورأفت لحالي وحال غيري من المسلمين، ممن ولد
في كنف الإسلام، ولم يحسن بعد تطبيق تعاليمه^(١).

❖ سمعت وأطعت

بعد أن ألقيت محاضرة في إحدى الملتقيات
الدعوية، أقبلت إلي فتاة تسألني عن الحكم الفقهي
في عدة مسائل تتعلق بحفل عرسها، فكانت تسأل
عن المسألة، وعندما أجيبها بالحكم تعقد إصبعها
وتقول: (سمعتُ وأطعتُ)، ثم تنتقل إلى المسألة
التالية، وتسأل فأجيبها، فتعقد إصبعها الأخرى، وهي
تقول: (سمعتُ وأطعتُ)، وهكذا صنعَتْ حتى انتهتُ
من أسئلتها، فتعجبتُ من أمرها واستجابتها بقولها:
(سمعتُ وأطعتُ)، ودعوتُ لها بخير.

❖ استجابة في بيت الله الحرام

كنت أصلي في المسجد الحرام وكانت بجانبني امرأة
من إحدى الدول العربية، تلبس خاتماً فيه عيناُ زرقاء،
وهذه العين اعتاد بعض الناس لبسها بنية دفع العين

١ - رسالة من مشترك في جوال (تدبر).

والحسد، وهي صورة من صور الشرك، وبعد الانتهاء من الصلاة ألقى عليها السلام، وسألتها عن هذا الخاتم، فأخبرتني أنها رآته على صديقتها فأعجبها فأهدته لها، فلما أخبرتها أن بعض الناس يلبسه بقصد دفع العين، أكدت أن ذلك صحيح، لكنها لا تلبسه بهذه النية، وإنما أعجبها فقط.

فبينت لها أن هذا الخاتم وسيلة من وسائل الشرك، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد، وهي وإن كانت لا تعتقد أنه مؤثر إلا أنه لا يجوز لبسه حتى لا تتشبه بالمعتقدين به، فما كان منها إلا أن سارعت إلى نزع الخاتم من يدها وهي تستغفر.

وتقول: واللّه إني لا أعلم بذلك، فتذكرت تلك المرأة التي أتت إلى النبي ومعه ابنة لها وفي يداها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها النبي ﷺ: «أعطين زكاة هذا؟»، قالت: لا، قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار»، قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ورسوله^(١).

١ - أخرجه أبو داود (٢/ ٤)، وحسنه الألباني.

❦ رأيتها بعد خمس وعشرين سنة

كنتُ في العشرين من عمري يومَ تقدمَ لي الشاب الذي أحلمُ به: طالبُ علمٍ عليه سِيَمَا الصلاحِ والاستقامةِ .

ووافقتُ وقتها بعد استخارة واستشارة دون تقصُّ واضح لأُمور أخرى قد تَهْمُ الناس عادةً، ومضت الأيام وأنا أعيش فترة الخُطبة في ظل حلمٍ جميلٍ بالحياة في بيت طالب علمٍ، إلى أن اقترب موعد الزواج .
وتسامع الناس بالخبر في بلدتي الصغيرة، فتتابعت التحذيرات من الارتباط بجادٍ متزمتٍ بعيدٍ عن مباحج الحياة!.

اضطربتُ وحِرتُ بين الثباتِ على المبدأ وتكملة المشوار، وبين الاستسلام والتراجع، ومضتِ الأيام وأنا بين الحيرة والقلق والدموع، إلى أن شاء الله عز وجل ، وفي لحظة لا أنساها بعد صلاة الفجر جلستُ أنتظرُ الإشراق، وأخذت المصحف وتلوت من سورة آل عمران، حتى توقفت فيها على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ

النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١﴾.

ولم أكن أعرف تفسيرها في ذلك الوقت ولا فيمن نزلت، ولكنني شعرت أنها تخاطبني، فكررتها مرات تدبرها، وبعدها اتخذتُ قراري بالاستمرار في ترتيبات الزواج وأنا أردد: حسبي الله ونعم الوكيل.

واليوم؛ وبعد مُضيِّ خمسةٍ وعشرين عاماً على زواجي؛ أرى تتمة الآية في حياتي: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١) (٢).

❖ قال لي : ﴿يَعْبَادِي﴾ ❖ فاستجبت

في مكتب الدعوة بشمال الرياض جاء كولومبي مستفسراً عن الإسلام، وبعد حوارات وقراءات مختلفة، أشهر إسلامه، وعندما سُئِلَ عن السبب، قال: «قرأت في ترجمة معاني القرآن الكريم التي أهدانيها صديق لي، تكرار كلمة ﴿يَعْبَادِي﴾، فكثير من الأوامر إذا وجهها

١- آل عمران: ١٧٣.

٢- آل عمران: ١٧٤.

٣- هكذا عاشوا مع القرآن للمؤلفة ص ١٠٨.

يسبقها بهذه الكلمة، وهذا استوقفني كثيراً، ولمست
منه جانب الشفقة علي، والرحمة بي، فمعظم قادة
وملوك ومسؤولي ومديري القطاعات ينادونك بفوقية،
وهو مع كونه ملك الكل المستغني عني يناديني
﴿يَعْبَادِي﴾، ومن هذه حاله فهو إله عظيم، لا بد أن
أستجيب لندائه"

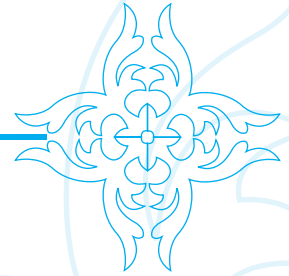


لك
استجبنا

خطورة الإعراض وسوء عاقبة المخالفين



خطورة الإعراض وسوء عاقبة المخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ



حذر الله ﷻ من العاقبة السيئة التي تنتظر من أعرض عن دينه وخالف أمره، إنه في الحقيقة لا يخسر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً فدين الله قائم والطريق سالكة؛ لذا عندما رغب بعض المسلمين البقاء في المدينة وعدم الخروج لتبوك للغزو مع رسول الله ﷺ، أنزل الله عز وجل:

﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾^(١)

إن ترك الاستجابة لله ورسوله ضلال مبين يستلزم عاقبة السوء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

١ - التوبة: ٤٠.

٢ - القصص: ٥٠.

٣ - الأحقاف: ٣٢.

أي أن هؤلاء المعرضين ضالون ضلالاً بيناً عن الصراط المستقيم.

وقد وصفهم الله عز وجل أنهم شرار خلقه ، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ^(١) ، وضرب لهم أسوأ الأمثلة، فقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ ^(٢) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ^(٣) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٤) .

قال ابن القيم رحمه الله :

"شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه. وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها (المستنفرة) كأنها تواصلت بالنفور وتواطأت عليه" ^(٥).

وأمر خطير آخر، ألا وهو أن التردد في الاستجابة والتأخر عنها فضلاً عن تركها ومخالفتها من دلائل

١- الأنفال: ٢٢.

٢- المدثر: ٤٩-٥١.

٣- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ١/ ١٦٤ ، وانظر: الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم أيضا ص ٢٦ .

النفاق البينة، وسبق أن ذكرنا أن الفرق بين المؤمن والمنافق سرعة الاستجابة والإعراض عنها، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥١﴾^(١)

وقد حذر المولى من مقاربة أمثال أولئك المعرضين ونهى عن صحبتهم ومجاراتهم لكثرة شرورهم وخطورتهم على عقيدة الإنسان ودينه، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۚ﴾^(١) وقال محذراً منهم: ﴿فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ﴾^(٢)

١- النور: ٤٧-٥٢.

٢- الكهف: ٢٨.

٣- النجم: ٢٩.

كل ذلك لأن عاقبة العصيان والمخالفة وخيمة ونهاياتها أليمة، وإلا فما الذي أفسد على الناس حياتهم، ونغص عليهم ملذاتهم، وفرق جماعاتهم، إنها المعاصي والتجروء على الذنوب، قال تعالى:

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

والمتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يجد الكثير من العقوبات الدنيوية والأخروية التي توعده الله بها المعرضين والمخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ.

■ عقوبة الإعراض في الدنيا :

١- الوقوع في الفتنة :

قال الله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

١- العنكبوت: ٤٠.

٢- النور: ٦٣.

قال الإمام الحافظ بن كثير رحمه الله في تفسيره
لهذه الآية:

«أي: فليحذر وليخش من مخالفة شريعة الرسول
باطناً وظاهراً، ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم
من كفر، أو نفاق، أو بدعة، (أو يصيبهم عذاب أليم)
في الدنيا بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك»^(١).
والفتنة كما قال الإمام أحمد رحمة الله :

«أتدري ما الفتنة، الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول
الرسول ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»^(٢).
قال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان:

«في هذا الوعيد ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ فتنة في
القلوب بأن يصرف الله قلوبهم ويصيبهم بالزيغ
والضلال لأنهم ردوا حديث رسول الله ﷺ ، وردوا أمر
رسول الله ﷺ تبعاً لرغباتهم وأهوائهم. فمن بلغه
الحق عن الله ورسوله ﷺ ثم أعرض عنه تبعاً لهواه
وشهوته ورغبته أو إرضاء لأحد من الناس فإنه يصاب
بالزيغ، كما قال الله : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً تَنْظَرِ

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٠/٦ .

٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٥٥/٣ وانظر بمعناه في
الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة ٢٦٩/١ .

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا
صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١﴾

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(١)، وقوله: فلما زاغوا: يعني
أعرضوا عن الحق ، أزاع الله قلوبهم، بمعنى أن الله
صرفها عن قبول الحق فلا تقبل الحق بعد ذلك» ^(٢).

٢- تثقيب القلب والتثبيط عن العمل الصالح :

إن أعظم عقوبة تصيب من خالف أمر الله وأمر
رسوله، وأصر على المعاصي والمنكرات، أن يحال
بينه وبين الإيمان الصحيح، وبينه وبين التوبة والعمل
الصالح، فلا يزال على الذنب مستمراً له، مجادلاً فيه،
حتى يموت عليه، ويبتلى بسوء الخاتمة .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ
بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ^(٣).

١- التوبة: ١٢٧.

٢- الصف: ٥.

٣- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد ١٩٦/٣ .

٤- الأنفال: ٢٤.

قال ابن القيم رحمة الله :

«أنكم إذا ثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته، فيكون قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ^(١)، وقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢).

ففي الآية تحذير من ترك الاستجابة بالقلب وإن استجابت الجوارح».

فالله الله في المسارعة للاستجابة للحق إذا بلغك، والحذر من التردد والتباطؤ.

وتأمل في قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(حذاري حذاري من أمرين لهما عواقب سوء:

- رد الحق لمخالفة الهوى؛ فإنك تعاقب بتقليب

القلب ورد ما يرد عليك من الحق رأساً.

- التهاون بالأمر إذا حضر وقته؛ فإنك تعاقب بالتثبيط

والإقعاد والكسل.

١- الصف: ٥.

٢- الأعراف: ١٠١.

فمن سلم من هاتين الآفتين، فلتهنه السلامة) (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٢).

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣).
ومن تثبيط الله للمعرضين تثبيطه للمنافقين عن الخروج للجهاد عندما أعرضوا عن الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤).

وهنا "يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأما هؤلاء المنافقون

١- بدائع الفوائد ص ٦٥

٢- الكهف: ٥٧.

٣- التوبة: ١٢٧.

٤- التوبة: ٤٦.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً﴾ أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ معكم في الخروج للغزو ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ قدراً وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم ﴿وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ من النساء والمعدورين^(١).

٣- الابتلاء بالضييق والمعيشة الضنك :

يعتري قلب المعرض ظلمة وضيق كأن على صدره ثقل عظيم، فهو يتأفف من غير مؤفف ويتضجر من غير مضجر.

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٣٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٣٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي^(٢).

١- تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، ص ٣٣٩.

٢- طه: ١٢٤-١٢٦.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :

”هذا وعيد شديد لمن أعرض عن ذكر الله وعن طاعته فلم يؤد حق الله، هذا جزاؤه، تكون له معيشة ضنكا وإن كان في مال كثير وسعة لكن يجعل في عيشته ضنكاً، لما يقع في قلبه من الضيق والحرَج والمشقة فلا ينفعه وجود المال، يكون في حرج وفي مشقة بسبب إعراضه عن ذكر الله وعن طاعة الله عز وجل ، ثم يحشر يوم القيامة أعمى. فالمقصود أن هذا فيمن أعرض عن طاعة الله وعن حقه عز وجل، ولم يبالِ بأمر الله بل ارتكب محارمه وترك طاعته عز وجل، فهذا جزاؤه، نسأل الله العافية»^(١).

لذا نجد كل بعيد عن الله يلتمس كل وسيلة ليلهي نفسه ويسليها، ولكنها لحظات لذة عابرة سرعان ما يعاوده الضيق والألم النفسي، وتضج روحه طلباً للإخبات إلى ربها والإنابة إلى باريها.

٤- الحرمان من إجابة الدعاء :

قد ذكرنا سابقاً أن من ثمرات استجابة العبد لربه

١ - لشيخ ابن باز نور على الدرب، انظر: <http://www.binbaz.org.sa>

أن يستجيب الله دعاءه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).
قال البغوي: أي ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني^(٢).

وقال الشوكاني: وقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي كما أجبتهم إذا دعوني فليستجيبوا لي فيما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعات وقيل معناه: أنهم يطلبون إجابة الله سبحانه لدعائهم باستجابتهم له: أي القيام بما أمرهم به والترك لما نهاهم عنه^(٣).

وعلى ذلك فإن المعاصي والمخالفات قد تكون سببا في حرمان العبد من إجابة دعائه.

وقد ورد في جزاء من لم يستجب لأمر الله في الأكل من الطيبات من الرزق واجتناب المحرمات، قوله ﷺ: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٤).

١- البقرة: ١٨٦.

٢- تفسير البغوي ٢٠٥/١.

٣- فتح القدير ٢٨٤/١.

- البقرة: ١٧٢.

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لَذَلِكَ^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله في شرم الحديث :

يعني ضرب النبي ﷺ مثلاً لهذا الرجل: "يُطِيلُ السَّفَرَ" والسفر من أسباب إجابة الدعاء، ولا سيما إذا أطالته. "أَشْعَثَ أَغْبَرَ" .. أي أنه لا يهتم بنفسه بل أهم شيء عنده الدعاء. "يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ" ومد اليدين إلى السماء من أسباب إجابة الدعاء،.. "يَا رَبَّ يَا رَبَّ" نداء بوصف الربوبية، لأن ذلك وسيلة لإجابة الدعاء "وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ" .. "وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ"، "وُغُذِيَ بِالْحَرَامِ". فَأَنَّى .. والمراد به الاستبعاد، يعني يبعد أن يستجاب لهذا، مع أن أسباب الإجابة موجودة. وهذا للتحذير من أكل الحرام، وشربه، ولبسه، والتغذي به^(٢).

٥- حرمان المعرضين من ولاية الله وتخليه عنهم :

قال الله تعالى: ﴿يَقُومَنَّ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾^(٣).

١- رواه مسلم برقم ١٠١٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، شرح الحديث العاشر ٣/١٦

٣- الأحقاف: ٣١-٣٢.

قال السعدي رحمة الله : ﴿ وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب ولا يغالبه مغالب. ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ وأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟^(١)

٦- الابتلاء بالمصائب والعقوبات العامة :

إن المتأمل في واقع الأمة الإسلامية اليوم بأفرادها ومجتمعاتها، ليدرك أن ما أصابهم من ذل وانقسام وفتن وفُرقة وأزمات، إنما مرده إلى إهمال أمر الله، والتقصير في تحكيم شرعه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنتُ عاشراً عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله

١- تفسير ابن سعدي، ص ٧٨٣.

٢- الشورى: ٣٠.

أن تُدركوهن، ما ظهرت الفاحشةُ في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتَلُوا بالطواغيتِ والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقصَ قومُ المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدةِ المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائمُ لم يُمطروا، ولا خفر قومُ العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم يعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَزْنَهَا تَذْمِيرًا﴾^(٣).

١- رواه ابن ماجه ٤٠١٩ - ١٤٩/٥، والبيهقي بلفظ مقارب برقم ١٩٣٢٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ (يعني بريدة بن الحصيب) رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٥/١ برقم ١٠٦.

٢- النحل: ١١٢.

٣- الإسراء: ١٦.

والم تأمل في آية الأمر بالاستجابة لأمر الله والرسول
 في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
 وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ
 بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا
 فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾^(١) يرى في الآية وعيد بالعقوبة
 لمن ترك الاستجابة لأمر الله ورسوله، ولمن ترك
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن سعدي: بل تصيب فاعل الظلم وغيره وذلك
 إذا ظهر الظلم فلم يغيّر فإن عقوبته تعمّ الفاعل
 وغيره، ويكون اتقاء هذه الفتنة بالنهي عن المنكر
 وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يُمكنوا من المعاصي
 والظلم مهما أمكن^(٢).

إن الذين يرفضون الاستجابة لله والرسول ﷺ، هم
 يرفضون الحياة الكريمة اللائقة بالإنسان، فليس لهم
 إلا الدون ومصيرهم الشقاء والبوار، كما قال تعالى:
 ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ يَسْتَمِعُونَ لَهُمْ يَذْهَبُونَ
 عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَآيَاتِ رَسُولِهِ وَيُسَوِّدُونَ لُهُمْ
 السَّيِّئَاتِ وَهُمْ لَا يُصْلَحُونَ﴾^(٣)

١- سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥

٢- تفسير السعدي ص ٣١٨

٣- إبراهيم: ٢٨.

■ عقوبة الإعراض في الآخرة :

لقد جاءت نصوص الوعيد في كتاب الله تعالى محذرة من ترك الاستجابة وتعمد المخالفة والإصرار على الذنب، ومن أشدها على النفس وأكثرها إيلاما للقلب، ذلك التهديد والوعيد بأنواع العذاب الأليم في الآخرة الذي لا يعرف قدره ومنتهاه إلا الله.

فعندما حدثنا القرآن عن بعض العقوبات الدنيوية للعاصين والمُسرفين، نبه إلى عظم عقوبة الآخرة وبشاعة منقلبها، ومن ذلك ما أخبرنا الله تعالى عنه في سورة القلم، من قصة عقوبة أصحاب الجنة، إذ أصابتها نار فاحترقت، بسبب منعهم حق الفقير منها، فقال جل ذكره: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وحسبنا في هذا المقام أن نقف متأملين ومتدبرين لبعض نصوص الوعيد في الكتاب الحكيم في سورة طه، فيما جاء فيها من عاقبة المعرضين والمخالفين يوم القيامة، مع وقفات من أقوال بعض أهل التفسير، سائلين الله عز وجل بمنه ورحمته أن يجيرنا من

١- القلم: ٣٣.

خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يوفقنا لأن نكون من المستجيبين والمتبعين ابتغاء وجهه الكريم .

■ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ﴾ (١٠) ﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ (١١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

”هذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم، كما قال: ﴿لَا نَذْرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (١)، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدي ومن خالفه وأعرض عنه، ضل وشقي في الدنيا والنار موعده، قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾

أي كذب به وأعرض عن اتباعه أمراً وطلباً، وأبتغى الهدى من غيره، فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء الجحيم، ولهذا قال: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾

أي إثمًا كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ (١٣).

١- طه: ٩٩-١٠١.

٢- الأنعام: ١٩.

٣- هود: ١٧.

وَهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلِهَذَا قَالَ:

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠) **خَلِيدِينَ**
فِيهِ ﴿أَيَّ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ وَلَا انْفِكَكَ﴾ **وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ**
الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿أَيَّ بُئْسَ الْحِمْلُ حِمْلُهُمْ﴾^(١).

وقال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره
ونواهيته، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن
القرآن، وأولاه الكفر والهجران،﴾ **خَلِيدِينَ فِيهِ ﴿أي:**
في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب
عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها﴾ **وَسَاءَ**
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿أي: بُئسَ الحمل الذي يحملونه،
والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة﴾^(٢).

■ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١١٤) **قَالَ رَبِّ**
لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٣).

١- تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٤).

٢- تيسير الكريم المنان ص: ٥١٢-٥١٣

٣- طه: ١٢٤-١٢٥.

قال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية:

”أخبر الله أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى بأن له معيشة ضنكا، أي عذاب القبر، وهذا عذاب البرزخ، وكذلك يترك في العذاب وينسى فيه كما ترك العمل بالآيات، وهذا عذاب دار البوار، وله الضنك والضيق في الحياة الدنيا كذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ سَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصَّدُونَ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١)، فأخبر سبحانه في هذه الآية أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين، وضلاله به، إنَّما كان بسبب إغراضه وعشوه عن ذكره الذي أنزله على رسوله، فكان عقوبة هذا الإغراض أن يقبض له شيطاناً يقارنه فيصدّه عن سبيل ربه وطريق فلاحه، وهو يحسب أنه مهتد. حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه، وعان هلاكه وإفلاسه قال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُتَسَّ الْقَرِينُ﴾ (٢).

١- الزخرف: ٣٦-٣٧.

٢- الزخرف: ٣٨.

وكلّ من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بدّ أن يقول هذا يوم القيامة، وهؤلاء لا عذر لهم يوم القيامة لأنّ ضلالهم منشؤه الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرّسول ﷺ، ولو ظنّ أنّه مهتد فإذنه مفرط بإعراضه عن اتّباع داعي الهدى، فإذا ضلّ فإذما أتى من تفريطه وإعراضه^(١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

”قَوْلُهُ: وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ: لَا حُجَّةَ لَهُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: عُمِّي عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَبْعَثُ أَوْ يَحْشُرُ إِلَى النَّارِ أَعْمَى الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ أَيْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾^(٢). وَلِهَذَا يَقُولُ: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٣) أَيِ فِي الدُّنْيَا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى، أَيِ لَمَّا أَعْرَضْتَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَعَامَلْتَهَا مُعَامَلَةً مَنْ لَمْ يَذْكُرْهَا بَعْدَ بَلَاغِهَا إِلَيْكَ، تَنَاسَيْتَهَا وَأَعْرَضْتَ عَنْهَا“^(٤).

١- مفتاح دار السعادة ص (٤٢-٤٤) بتصرف يسير .

٢- الإسراء: ٩٧.

٣- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٣/ ١٨٣٣-١٨٣٤).

وقال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشتة ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذاباً.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر، والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ ^(١) الآية، والثالثة قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ^(٢). والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ^(٣)

١- الأنعام: ٩٣.

٢- السجد: ٢١.

٣- غافر: ٤٦.

﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ أي: هذا المعرض عن ذكر ربه
﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ البصر على الصحيح، كما
قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا
وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾^(١).

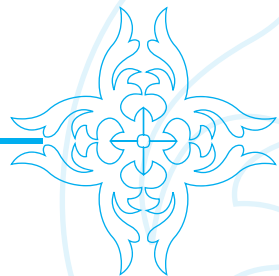
١- تيسير الكريم المنان ص: ٥١٥ - ٥١٦



طرق تقوية بواعث الاستجابة



طرق تقوية بواعث الاستجابة



لا شك أن كل منا مستشعر تقصيره في جانب من جوانب الاستجابة لله ورسوله ﷺ ، ويؤلمه ما يجد من نفسه من تكاسل وتراخ في بعض الأمر .

فما الطريق إلى تحقيق الاستجابة، تلك المنزلة العالية من منازل الإيمان، التي أثنى الله على أهلها في كتابه ووعدهم بفضله ورحمته في الدنيا والآخرة. ولك أن تسأل أيها القارئ الكريم: هل يمكن أن أكون من السابقين بالخيرات، ومن المسارعين إلى فعل الطاعات، وكيف أقوي بواعث الاستجابة في نفسي، حتى أسارع في أمر الله ورسوله ﷺ بلا تباطؤ ولا حرج ولا تردد ؟ .

آن الأوان يا صاحب القلب المؤمن والنفس الكبيرة، لاستعراض أهم المطالب العالية والطرق

الوافية، لتحقيق مقومات الاستجابة وتقوية بواعثها في النفس:

١- ابدأ من داخل نفسك بالرجوع إلى ربك معترفاً بتقصيرك، مستغفراً نادماً على ما أسرفت وفرطت، عاقداً العزم على السمع والطاعة ولزوم الاستجابة لله ورسوله ﷺ، فيما تحب وتكره في السر والعلانية، وتدبر واستجب لأمر ربك: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ. مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ (٥٤) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١).

كن صادقاً مع الله في تحرر الحق في جميع أمورك، مستعداً للاستجابة والامتثال، لتنال البشرى من الله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١).

٢- اهتم بتنمية الجانب الإيماني لديك، وذلك بترسيخ أركان الإيمان في قلبك بالعلم والعمل، ولأن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف، فإن بواعث الاستجابة

١- الزمر: ٥٤-٥٥.

٢- الزمر: ١٧-١٨.

في النفس تقوى بحسب قوة الإيمان وتضعف بضعفها،
لذا كانت تقوية الإيمان بالله وتعظيمه في القلب، من
أعظم الدوافع لقوة الاستجابة وسرعتها.

واليك أهم طرق تقوية الإيمان بالله تعالى وتعظيمه في القلب :

- أ- تأمل في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
- ب- تفكر في الخلق والمخلوقات، وفي أمر الدنيا والآخرة.

أ- التأمل في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى :

إن تعلم أسماء الله وصفاته والاشتغال بمعرفتها من
أعظم أسباب زيادة الإيمان وتقوية بواعث الاستجابة في
القلب، ولا سبيل إلى معرفة الرب سبحانه إلا بمعرفة
أسمائه ونعوته التي تعرف بها سبحانه إلى عباده من
الكتاب والسنة الصحيحة، وبحسب معرفة العبد بربه
تكون محبته له وخضوعه وطاعته وانقياده لأمره.
فأسماء الرب عز وجل ونعوته تثمر في القلب
العبودية والخضوع، إذ لكل صفة عبودية خاصة

يشهدها القلب ثم يظهر مقتضاها على الجوارح.
فعلى سبيل المثال: إذا علمت بأن الله سميع بصير
 عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا
 في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة
 الأعين وما تخفي الصدور، فإن هذا يثمر لك حفظ
 اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كل ما لا يرضي
 الله، وستشغل هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه.
 وبقدر قوه معرفة الله واستمرارك تحصيلها،
 يتمكن وقار الله وعظمته في قلبك، مما يبعث
 إلى تعظيم حرماته والاستسلام لحكمه وأمره
 ونهيه، وهذا التعظيم سيحول بينك وبين المعاصي
 والذنوب، فالله ايعبد ويطاع ويحمد ويجل لأنه أهل
 لذلك ومستحقه. فمن كانت معرفته بالله أكمل،
 كان من أقوى الناس إيماناً وأحسنهم إجلالاً ومراقبة
 لله وأكثرهم طاعة وتقرباً إليه وبعداً عن معاصيه
 ومسا خطه، وكان من أشد الناس خشية لله، كما
 قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).
 قال بشر بن الحارث رحمه الله: "لو تفكر

١- فاطر: ٢٨.

الناس في عظمة الله تعالى ما عصوه عز وجل^(١). وهذا ما تميز به الصحابة الكرام، فهم يعظمون الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي أمره ونهيه، ولقد تخلل تعظيمه وحبه في أفئدتهم وامثلتته جوارحهم، فإذا هم يتحرون حكم الله في كل مسألة، ويجعلون حكم الله وشرعه هو الحاكم عليهم في كل صغيرة وكبيرة في حياتهم.

وما نراه اليوم من استهزاء بالدين وتلاعب بأحكام الله تعالى، إنما هو نتيجة ضعف الإيمان وغياب تعظيم الله في القلوب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبٌ أَلَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢).

ب- التفكير في الخلق والمخلوقات وفي أمر الدنيا والأخرة:

فالتأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته، يبعث إلى تقوية الإيمان وتثبيته؛ لأن التفكير الذي حقيقته النظر

١- تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٣).

٢- الحج: ٣٢.

والاعتبار يفجر في القلب ينابيع الإيمان وتعظيم الله وإجلاله، وينبئه إلى كثرة نعمه وآلائه.

ومن ذلك أيضاً التفكير الواعي بأحوال الناس والنفوس والدنيا وسرعة زوالها وانقضائها، وكان سفيان بن عيينه يقول: «الفكرة نور يدخل القلب» وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة^(١)

ومما يُرَبِّي في النفس عبادة التفكير، دعوة القرآن إلى النظر في آيات الله، ومخلوقاته التي هي آثار صنعه، والتي هي من أعظم الأدلة على وحدانيته وتفردِهِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، ويقول الله تعالى: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٣).

١- البقرة: ١٦٤.

٢- النور: ٤٤.

٣- تذكر دائماً قول الحق: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(١)؛ إذ أن في تذكر اليوم الآخر يوم الحساب والجزاء ومشاهدة العظيمة، تقوية للعزيمة وحث على المبادرة في فعل الخيرات وترك المنكرات، وما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواء الواجب منها والمسنون، ولا تجرأ المتجرؤون على حرماته، إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها.

وحينما أمر الله عباده بالاستجابة له قرنهما بتذكيرهم باليوم الآخر، وأن عليهم المبادرة قبل حلول الأجل، قال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكَيرٍ﴾^(٢). قال السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى عباده بالاستجابة له، بامثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت

١- البقرة: ٢٨١.

٢- الشورى: ٤٧.

ربه، ويهرب منه. بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم.. وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه^(١).

إنك ستجد في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة آثاراً واضحة وثماراً طيبة في قلبك، تظهر على أقوالك وأفعالك وعلى حياتك كلها.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: ”إن صدق التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة والأحوال الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليه، من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح، فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله، والمفتاح بيد الفتاح العليم لا إله غيره ولا رب سواه“^(٣).

١- كتاب تيسير الكريم (٧٦٢/١).

٢- البقرة: ٢٨١.

٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٧٧.

٤- داوم على تدبر كتاب الله، وأطل النظر في معانيه، فإن الله أخبر أنه إنما أنزله ليدبر العباد آياته، فقال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وقال تعالى مؤكداً أن القرآن يزيد المؤمنين إيماناً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢). قال قتادة رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٣).

قال: «هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة» (٤).

وزيادة الإيمان التي تكون بقراءة القرآن لا تكون إلا لمن اعتنى بفهمه وتطبيقه والعمل به، وإلا فكم من قارئ للقرآن والقرآن حبيبه وخصيمه يوم القيامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: «القرآن حجة لك أو عليك» (٥).

١- ص: ٢٩.

٢- الأنفال: ٢.

٣- الأنفال: ٢٤.

٤- تفسير ابن جرير الطبري (٤٦٥/١٣).

٥- صحيح مسلم رقم (٥٥٦) (١٤٠/١).

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: ”واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر، بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه“^(١).

٥- أعط نفسك فرصة لتسمع سماع فهم وعقل، وسماع استجابة واتباع، إذ أن الاستجابة هي السماع النافع الذي يقود إلى الطاعة والانقياد، وذلك من خلال حضور مجالس العلم والدروس، وكذلك من خلال وسائل التعليم والإعلام المتنوعة المرئي منها والمسموع والمقروء.

استمع وأنت مؤمن مستعد للتطبيق كما استمع الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٢)، فالذي يستمع بنيه الفهم والاستجابة، هذا هو الحي الذي يوفق للاستجابة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٣).

١- تفسير المنار (٤٦٣/٩).

٢- آل عمران: ١٩٣.

٣- الأنعام: ٣٦.

قال ابن عاشور رحمه الله : ”ومعنا يسمعون أي أنهم يفقهون ما يلقي إليهم من الإرشاد لأن الضالين كمن لا يسمع ، فالمقصود سماع خاص وهو سماع الاعتبار، وأما المعرضون عنك فهم مثل الموتى فلا يستجيبون كقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ^(١) ^(٢) .

وقال السعدي رحمه الله : ”يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ﴾ لدعوتك، ويلبي رسالتك، وينقاد لأمرك ونهيك ﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ بقلوبهم ما ينفعهم، وهم أولو الأبواب والأسماع.

والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن، يشترك فيه البر والفاجر، فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى، باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر، في عدم القبول.

﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ أي : إنما يستجيب لك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون بما ينجيهم، فإنهم

١- النمل: ٨٠.

٢- التحرير والتنوير ٤/ ٤٩٣.

لا يستجيبون لك، ولا ينقادون، وموعدهم القيامة،
يبعثهم الله ثم إليه يرجعون^(١).

نقول ذلك لأن هناك من ظلم نفسه بحرمانها من
سماع العلم والموعظة بحجج باطلة وخطيرة، فمنهم
من يقول: «إننا مسلمون ونعرف ديننا ولا نحتاج هذه
الدروس والمحاضرات»، ومنهم من أعرض محتجاً
بقوله: «لا أسمع حتى لا يكون حجة على إذا لم أعمل به».
إنها خدع شيطانيه خطيرة أوقعت أصحابها بجهلهم
في تيه الإعراض والضلال.

٦- اختر لنفسك صحبة المستجيبين، ولازمهم ما
أمكن، فإنهم خير معين لك بعد الله على سلوك طريق
الاستقامة، وتحريك بواعث التنافس في الخير ودفع
العزائم والهمم إلى فعل الطاعات، وترك المعاصي
والمنكرات، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٢).

١- تفسير السعدي ص: ٢٥٥.

٢- الكهف: ٢٨.

وقد قال عليه السلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١).

٧- الزم الدعاء وأسأل الله دائماً التوفيق والثبات، واعلم أن الاستعانة بالله مفتاح عظيم للتوفيق لا يجوز التفريط فيه، ولو تأملت سورة الفاتحة التي تقرأها في كل ركعة، لوجدت ذلك الربط العجيب بين العبادة والاستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢)، إن من همّ بالعبادة غافلاً عن طلب العون، لم يكد يوفق، وفي المقابل: من مد يد الاستعانة لمولاه، ورجاه أن يفتح عليه أبواب الطاعة والتوبة، رأى من عون مولاه ما لا عهد له بمثله. أصاب عبدالواحد (الفالج) -وهو الشلل الرباعي-، فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء انطلق، وإذا رجع إلى سريره فلج^(٣).

قال بعض السلف: «افتقر إلى الله بصحة العزم»، أي: التوكل عليه والالتجاء إليه، وإذا وجدت العزيمة في

١- رواه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٠٤-٨٣٩٨.

٢- الفاتحة: ٥.

٣- السير ١٧٩/٧.

نفسك، وتبعتها مواصلة الخطوات على طريق الحق،
 كان بلوغ القصد ميسوراً بفضل الله وعونه ، وورد
 هذا الدعاء كثير تأسيساً بنبيك ﷺ « يا مقلب القلوب ثبت
 قلبي على دينك »^(١)، وتدبر في كل ركعة قول الله
 تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٢)، واسأل الله بصدق:
 « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(٣).

وسبب أخير نختم به هذه الطرق القويمه، ينبغي
 العناية به وعدم إغفاله: وهو أن الأمور السابقة
 جميعها تتطلب مجاهدة للنفس، وتوطئتها على
 الاستجابة، وذلك لا يأتي دفعة واحدة كما أنه لا يقف
 عن حد، فكما أن النفوس اعتادت على المعصية شيئاً
 فشيئاً، فلنعودها على الطاعات شيئاً فشيئاً، وكما قال
 تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا
 إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾^(٤).

بالإضافة إلى أن ذلك أيضاً يستلزم محاسبة النفس
 على جميع ما يقع من المخالفات مهما صغر ودق ، فإن

١- رواه الترمذي ٥/٢٣٨ وصححه الألباني.

٢- الفاتحة: ٦.

٣- رواه النسائي برقم ١٢٠٩.

٤- المائدة: ٣٥.

الإنسان لا يدري من أين يؤتى في دينه، والنبى ﷺ
يحذرنا ويقول: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا
فِي بَطْنٍ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا
خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا
تُهْلِكُهُ»^(١).

١- رواه أحمد برقم (٢٢٨٦٠) (٥ / ٣٣١)، وصححه الألباني.

الخاتمة

أخي المستجيب..

أختي المستجيبة..

إليك هذه الوصايا لعلها تضيء لك طريق الاستقامة،
وتدفع عنك عوائق الاستجابة، وتفتح لك باب العزم
والطاعة:

* عوّد نفسك على أن تأبى مجارات الناس على
عوائدهم التماساً لمرضاتهم، إذا كان ذلك مخالفاً لأمر
الله ورسوله ﷺ .

* حرّر نفسك من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،
ولا تأخذك في إقامة دين الله لومه لائم، ولا تخشى
فيه ذم الناس ولا مدحهم.

* رب نفسك على العزة بالدين، وارفع رأسك فقد
استبان لك الطريق.

* ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

١ - الأنعام: ١٦٢.

* اسأل نفسك دائماً هل تريد الدنيا؟ فإنها متاع قليل
﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾^(١).

أم تريد الله ورسوله والدار الآخرة؟ فإنما هي الحسنی
وزيادة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾^(٢)، ﴿وَعَدَ
اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)
﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(٤).

ثم اعلم أن ذلك التخيير ليس لك أنت فقط، بل إن الله
قد خير من هم خير منا جميعاً، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ بِهَا
الَّتِي قُلَ لَا زَوْجَ لَكَ إِنِ كُنْتَ تَرْضَى الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَنَعْلَا لَيْتَ أُمِتْعَكَ وَأُسْرِحَكَ سَرَلًا حَمِيلاً﴾^(٥).

* تذكر فضائل وثمرات الاستجابة في الدنيا والآخرة:
قلب ساكن مطمئن.. إيمان وهداية وتوفيق.. دعاء
مستجاب.. مغفرة للذنوب.. صلاح أزواج وأبناء.. سعة
رزق.. نجاة من النار...جنة عرضها السموات والأرض..
ورضوان من الله أكبر.

١- آل عمران: ١٨٥.

٢- الرعد: ١٨.

٣- الروم: ٦-٧.

٤- الأحزاب: ٢٨.

* تذكر سوء حال ومآل المعرضين والعاصين: فهو شقاء وضياع في الدنيا.. وحسرة وعذاب وهوان في الآخرة.

* ثم اسأل الله تعالى أن يوفقك لسلوك طريق الاستقامة ، وأن بلوغ مرضاته، وأن يجعلك مستجيباً لله ولرسوله ﷺ في السر والعلانية.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من السابقين بالخيرات والمسارعين إلى مغفرة وجنة عرضها الارض السموات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

٦	دعوة
٨	مقدمة
١٣	أهمية الاستجابة
١٥	نداء رباني
١٩	الاستجابة (تعريفها .. و .. مرادفاتها)
٣١	لماذا الحديث عن الاستجابة ؟
٣٩	ثمرات الاستجابة
٦٧	طبقات المستجيبين
٨١	عوائق في طريق الاستجابة
١٠٧	الاستجابة بين الرهبة والرغبة
١١٧	نماذج من استجابة السلف
١٣٥	نماذج لاستجابة المعاصرين
١٤٥	خطورة الإعراض وعاقبة المخالفين
١٦٩	طرق تقوية بواعث الاستجابة
١٨٦	الخاتمة
١٨٩	فهرس الموضوعات



الاستجابة لك

امتداداً للدعوة المباركة إلى تدبر القرآن الكريم والعمل به، تنطلق حملة (لك استجبنا) والتي تهدف إلى الدعوة للاستجابة لله ورسوله لتحقيق التقوى والترقي في مراتبها، وسيتم طرح الحملة بعدة وسائل دعوية ميدانية وإعلامية. ولمزيد من المعلومات عن المسابقة زوروا صفحة الحملة

على موقع آسية الإلكتروني

<http://estajapna-lk.tk>

www.asyeh.com

أسئلة مسابقة كتاب « لك استجبنا »

السؤال (١) : أجب عن التالي فيما لا يزيد عن سطرين
من نص الكتاب:

(١) ما هو المحور الذي ورد فيه النص التالي: (الاستجابة
لله ورسوله هي استجابة لدواعي الحياة بكل معاني
الحياة الكاملة).

(٢) ذكرت المؤلفة بأن بعض الشعوب (رفعت رايات الرفض
والغضب تجاه ظلم الأنظمة والقيادات) فكيف ربطت
بين ذلك وبين موضوع الاستجابة ؟

(٣) لماذا لا يستجيب بعض الناس لربهم الذي خلقهم وشرع
لهم الدين ؟

(٤) ما صفة قراءة القرآن التي يوفق العبد من خلالها
للاستجابة ؟

السؤال (٢) أكمل الفراغات التالية :

(١) كلما زاد العبد في الاستجابة لله تعالى وطاعة
أوامره،..... بالميت، قال تعالى: (.....)
.....).

(٢) أوجز مجاهد رحمه الله مفهوم الاستجابة في كلمة
واحدة، هي:.....

(٣) أورد ابن عاشور أمثلة عدة لـ (إجابة المبادرة)، مثل
استجابة: (.....)

٤) المحك الحقيقي والمظهر العملي للإيمان هو

٥) الاستجابة التي يدعو إليها الكتاب ويأملها من كل مسلم هي

٦) الاستجابة لله يجب أن تكون في.....،
وفي جميع بقدر الاستطاعة؛
لعموم قوله تعالى: (.....)
وقد جعل الله تعالى رضاه
في لأمره.

٧) أكمل الناس حياة أكملهم

٨) من أجاب داعي الله
..... الأليم.

٩) ومما ابتلي به كثير من الناس في هذه الأزمنة من
الشهوات، إلى من غير
.....، وإنما بمبرر، مع أن الواجب
على المسلم أن يضر من لا
أن يضر إلى

١٠) ومما يؤلم النفس أن نرى في هذا الزمان
من الصغير والكبير والمرأة والرجل، لا يتورعون عن
..... ونسي ذلك المفتي والمستفتي أن
الله سيسألهم يوم القيامة بقوله: (.....).

(١١) (.....) اسم لءاء يطلق ويراء به (الشلل الرباعي)

السؤال (٣) : ما مناسبة الاستشهاد بالنصوص التالية:

(١) حديث : (الكبر بظر الحق وغمط الناس)

مناسبة الاستشهاد:
.....
.....

(٢) حديث : (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتَنُ)

مناسبة الاستشهاد:
.....

(٣) قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)

مناسبة الاستشهاد:
.....
.....

(٤) قوله تعالى : (إنما يستجيب الذين يسمعون)

مناسبة الاستشهاد:
.....

السؤال (٤) : المطلوب اختيار الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

١) العباد يتفاوتون في استجابتهم لله على : (طبقتين، ٣ طبقات، ٥ طبقات)

٢) آيات الكفاية هي : (آخر البقرة - سورة الملك - آية الكرسي)

٣) السوقة هي : (الفرس - عامة الناس - متجر المدينة)

٤) التردد في الاستجابة والتأخر عنها فضلاً عن تركها ومخالفتها من دلائل (النفاق - الضعف - التسويف)

٥) من بلغه الحق عن الله ورسوله ﷺ ثم أعرض عنه تبعاً لهواه وشهوته ورغبته أو إرضاء لأحد من الناس فإنه يصاب بـ: (الوقوع في الفتنة - تقلب القلب والتثبيط عن العمل الصالح - الابتلاء بالضيق والمعيشة الضنك - الحرمان من إجابة الدعاء - حرمان المعرضين من ولاية الله وتخليه عنهم - الابتلاء بالمصائب والعقوبات العامة - جميع ما ذكر)

أخي المستجيب لربه، أختي المستجيبة لربها: بعد قراءة الكتاب لعلك أصدرت قرارا مهما في حياتك ، أكتب لنا في خمسة أسطر الخطوات العملية التي ستسير عليها مستعينا بربك لكي تحقق الاستجابة لربك..أعانك الله ورزقك التوفيق والسداد.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نستقبل الاجابات قبل ٣٠ / ١١ / ١٤٣٢هـ

على الفاكس : ٩٦٦١٢٦٩٥٦٩٣+

أو البريد الإلكتروني : asyeh.e@asyeh.com

أو ص.ب: ٣٥٥٩٥٤ الرمز: ١١٣٨٣